مباحث
في
مقارنة الأديان

للدكتور
سعيد محمد إسماعيل الصاوي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطا

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

مباحث

في

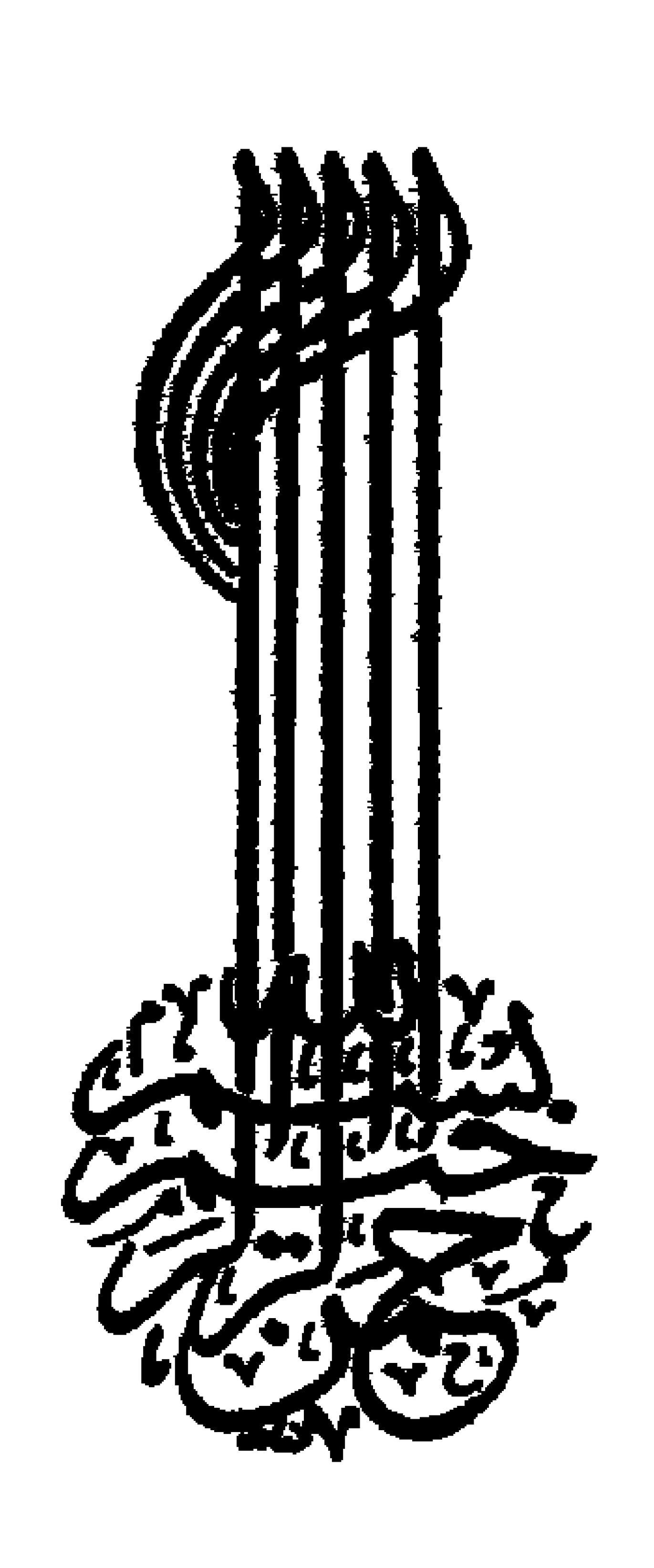
مقارنة الأديان

للدكتور
سعيد محمد إسماعيل الصاوي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطا

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى أرسل رسله وأنبياءه - صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين - بالهدى ودين الحق . لهداية الخلق إلى الطريق الحق والصراط المستقيم . وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط - ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل .

والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله . وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ . وشر الأمور محدثاتها . وكل محدثة بدعة . وكل بدعة ضلالة . وكل ضلالة فى النار .

وبعد :-

فإنه حرى بكل إنسان أن يعرف حقائق الأشياء من حوله خاصة إذا وسعه الجهد . واتسع له الوقت . وسنحت له الفرصة . وتوفرت له الوسائل . وليس فى الوجود أهم وأقدس من الدين الذى يصل الانسان بفاطر السموات والأرض وما بينهما . وما ينبغى له من ولاء . وشكر على النعماء . وما ينبغى لوحيه من تدبر . وفقه . وتطبيق .

وكل ذلك يؤكد مدى أهمية دراسة الدين وما يحيط به من قضايا وعلوم ينبغى أن تكون محل اهتمام المسلم بوجه عام . والداعية بوجه خاص . بالتدبر الدقيق . والفقه العميق . وسلامة التطبيق . والدعوة إليه على علم وبصيرة .

المبحث الأول

المبحث الأول
معنى المقارنة

المقارنة . مفاعلة من الفعل الثلاثى - قرن - يقال : قارنه . مقارنة وقراناً : صاحبه واقترن به . وقارن بين الزوجين قراناً : جمع بينهما - مو - (١)

وقارن الشئ بالشئ : وازنه به - محدثة - (٢) فهو مقارن (٣) .

وهذا يدل على أن المقارنة تسوية أو مساواة أو مصاحبة بين شيئين .

فيقال : سوّى بين فلان وفلانة أى ساوى بينهما . وجعلهما يتماثلان ويتعادلان . (٤)

كما يدل على أن المقارنة موازنة . فيقال : وازن بين الشيئين . موازنة ووزاناً : ساوى وعادل (٥) .

وفى المعجم الفلسفى (٦) تطلق هذه اللفظه - مقارنة - على :-

١ - العملية الذهنية . لأن المقارنة تقوم على ربط موضوع بآخر برباط واحد لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينهما . وقد يشمل هذا الربط موضوعين أو أكثر .

٢ - الطريقة أو المنهج : والمقارنة بهذا المعنى هى المنهج الذى يقارن بين الصور المختلفة لصنف من الظواهر . أو نوع من الموجودات . أو عضو من

---

(١) هذا رمز للكلمة المولدة . وهى اللفظة التى استعملها الناس حديثاً بعد عصر الرواية .

(٢) هذا رمز للكلمة التى استعملها الناس فى العصر الحديث وشاع فى لغة الحياة العامة .

(٣) المعجم الوسيط صـ ٧٣٠ .

(٤) السابق صـ ٤٦٦ .

(٥) السابق صـ ١٠٢٩ .

(٦) المعجم الفلسفى : جميل صليبا جـ ٢ صـ ٤٠٥ .

الأعضاء . أو وظيفة من الوظائف . والمقارنة بهذا المعنى هى الأداة المثلى في علم الاجتماع . كما يقول دوركايم الذى طبق هذه الطريقة فى دراسة الظواهر الاجتماعية .

٢ ـ القضية . والمقارنة بهذا المعنى توجد فى المنطق . والقضية المقارنة فى المنطق هى القضية التى تدل على أن موضوعاً مايتميز بحمل إحدى الصفات عليه بدرجة أكبر أو أصغر من حملها على غيره .

وهذه القضية المقارنة . قضية مركبة من قضيتين . مثال ذلك . قولنا : إن الألم أعظم الشرور . فهو يشتمل على قضيتين : أولهما. قولنا إن الألم شر. وثانيهما : قولنا إن هذا الشر أعظم الشرور ..

وقد شاع بين الباحثين لفظة ـ مقارنة ـ خاصة فى الدراسات الإسلامية حيث نجد الفقه المقارن . وكذلك فى الدراسات الأدبية . حيث نجد الأدب المقارن . وفى دراسة الأديان ـ مقارنة الأديان . وفى غير ذلك من المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفلسفة ... الخ .

الملاحظ على لفظة ـ مقارنة ـ :ـ

إن المتأمل فى لفظة ـ مقارنة ومشتقاتها ـ مع شيوعها بين الباحثين . يلاحظ : ـ

أنها كثيراً ما تستخدم فى المحسوسات أكثر منها فى المعنويات.

ـ كما أنها تميل إلى التشابه والتماثل والتعادل والمساواة أكثر منها إلى غيرها .

وإذا كان معروفاً بين الناس أن الحكم ينصب على التشابه والتضاد معاً.

وأنه حينما يقارن بين أمرين لابد أن يكون الميزان الذى يوزن به الأمرين فى درجة عدالة واحدة بالنسبة إلى طرفى الحكم وهما : التشابه والتضاد . أو الحسية والمعنوية .

لكن بما أن لفظة ـ مقارنة ومشتقاتها ـ تميل إلى التشابه أكثر من ميلها إلى التضاد . وإلى المحسوس أكثر من المعنوى . فهى إذاً لاتحقق العدالة المطلوبة من لفظة تستخدم عنواناً للحكم على أمرين متضادين.

وإذا بحثنا عن لفظة تستوى نسبتها إلى كل من التشابه والتضاد . ونسبتها إلى المحسوس والمعنوى . وتتحقق بها العدالة فى ميزان الأمور . وجدنا لفظة ـ موازنة ـ المأخوذة من الفعل ـ وزن . يزن . ميزانا . وموازنة ـ هى التى تصلح لهذه المهمة .

لأن هذه اللفظة ـ موازنة ـ تحقق ماتفتقده لفظة ـ مقارنة ـ من العدالة بين طرفى الحكم بين الأشياء .

فنسبتها إلى التشابه هو عين نسبتها إلى التضاد .

وتستخدم فى المحسوسات مثلما تستخدم فى المعنويات وهذا هو المفهوم من معانى اللفظة فى المعاجم اللغوية . يقال : ـ وازن بين الشيئين موازنة ووزاناً : ساوى وعادل . ـ و ـ الشئُ الشئَ : ساواه فى الوزن . وعادله . وقابله . وحاذاه . واتزن العِدْلُ : اعتدل بالآخر. وصار مساوياً له فى الثقل والخفة . ويقال : هذا القول أوزن من هذا : أقوى وأمكن (١) .

---

(١) المعجم الوسيط : جـ ٢ صـ ١٠٢٩ ـ ١٠٣٠ .

لماذا شاع بين الباحثين لفظة ـ مقارنة ـ دون لفظة ـ موازنه ؟ !

قد يقول قائل : ما دامت لفظة ـ موازنة ـ أدق من حيث الوضع اللغوى .

ومن حيث العدالة بين المتناقضات ـ التشابه والتضاد ـ والحسية والمعنوية

فلماذا اشتهرت المقارنة ـ ولم تشتهر ـ الموازنة ـ ؟ !

أقول : ـ

= إنه لمن المعروف والمؤكد .أن هذا النوع من الدراسة علم إسلامى أصيل من حيث نشأته الأولى ـ كما سيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى ـ إلا أنه فى فترات ضعف المسلمين . انتقل إلى غيرهم من أبناء الغرب المستشرقين والمبشرين من اليهود والنصارى (١) وهم دون شك يجهلون اللغة العربية وأساليبها ودلالاتها ومراميها . لاسيما هذا النوع من الألفاظ الذى تترادف فيه الكلمات على معنى واحد .

= كما أن استخدام لفظة ـ مقارنة ـ يبدو صحيحاً من وجهه نظرهم لأنهم يرون التشابه بين الأديان . ويحكمون به خاصة بين اليهودية والنصرانيه والإسلام .

ويجهدون فى ذلك جهدهم. ليثبتوا أنه مادامت الأديان متشابهة وما دامت اليهودية والنصرانية سابقتين على الإسلام . فهما أصل له . قاصدين بذلك أن الإسلام مأخوذ من اليهودية والنصرانية . أو على أقل تقدير : الأديان

---

(١) قد يقال إن النصارى يدعو إلى دينهم . أما اليهود فليسوا كذلك لأنهم يعتقدون أنهم شعب الله المختاروان دينهم خاص بهم فلم يدرسون مقارنة الأديان ؟ . أقول : ليعاونوا النصارى فى ادعائهم أن الاسلام مأخوذ من اليهودية والنصرانيه .

متشابهة فى أسسها الأصلية . فلم يتمايز الإسلام على ماسبقه ؟ ولم الدعوة إليه دون ما سواه ؟ ولم يكون هو الدين الوحيد مع أنه يتشابه مع سابقيْه ؟

واشتهار لفظة - مقارنة - فى الساحة الإسلامية ليس المقصود به استخدامها كما يراد لها فى الغرب . وإنما هو من باب المشاكلة والمجاراة لهم كما فى قول الله تعالى - ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (١) أو هى من الأخطاء التى شاعت واشتهرت وانتشرت بين الناس .

وبناءً على هذا يمكن أن تعرف كلمة مقارنة من وجهه نظر إسلامه بأنها : علم يقارن بين أمرين . أو أمور (٢) متعددة . لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينها . ومعرفة الصحيح منها والفاسد لإحقاق الحق وإبطال الباطل بأدلة مقنعة (٣) .

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٤ .

(٢) يدخل فى ذلك الأديان سواء أكانت سماوية صحيحة كالإسلام أم سماوية فى الأصل وحرفت كاليهودية والنصرانية . أم أديان وضعيه صنعها البشر لأنفسهم كالهندوكيه والبوذية وغيرهما .

(٣) سواء أكانت أدلة نقلية أم عقلية .

المبحث الثانى

المبحث الثاني :

موقف الإسلام من الأديان الأخرى :-

هل يسمح الإسلام بدراسة الأديان الأخرى سماوية كانت أو وضعية ؟!

-قبل الإجابة عن هذا التساؤل ينبغى ألا نلجأ فى الإجابة إلى :

افتراضات عقلية . أو أقيسة منطقه . أو اجتهادات شخصية . أو تعليلات زمانية أو مكانية أو بشرية أو غير ذلك . مستقلة عن النص . بل لابد من الاعتماد على خطاب شرعى من القرآن الكريم أو سنة النبى ﷺ فى نص صحيح صريح . لأن هذا هو ماينبغى أن يكون فى مثل هذه الدراسات لاسيما وأنها تتصل بأصول التدين . لابفروع منه (١) .

موقف القرآن الكريم . من المقارنة بين الأديان :-

بالنظر فى القرآن الكريم نجد أن هناك نصوصاً تقضى بأنه لا دين إلا الإسلام . فقال سبحانه :- ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (٢) - ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ﴾ (٣) ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٤) .

كما نهى النبى ﷺ أصحابه عن سماع التوراة من اليهود - وقال لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم .... الحديث (٥) .

---

(١) قد يقال : إن غير المسلمين لايعترفون ولا يؤمنون بالنص . أقول ما دام المطلوب هو بيان حكم الإسلام وموقفه من دراسة الأديان الأخرى . لابد أن يكون هناك نص فى الإسلام . أما إذا كان المطلوب بيان رأى المسلمين أو موقفهم من هذا الأمر . فالعقل يخدم النقل فى بيان هذا الأمر .

(٢) سورة المائدة آية ٣ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٩ .

(٤) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٥) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٤١٦ وسنن أبى داود كتاب العلم جـ ٣ صـ ٣١٧ .

فهذه النصوص تدل على أن الإسلام هو الدين الحق الذى ارتضاه الله تعالى وارتضاه رسول الله ﷺ . كما أنها نفت كل دين غير الإسلام وَجَبَّتْهُ .

وعليه . فلا تجوز المقارنة بين الإسلام وغيره

وبجانب هذه النصوص التى يفهم من ظاهرها عدم جواز مقارنة الإسلام بغيره . توجد نصوص أخرى يفهم منها أن القرآن الكريم يبيح المقارنة بل يضع جذور علم مقارنة الأديان وذلك عندما تحدث القرآن عن الكثير من الأديان سواء أكانت سماوية أم وضعية . وتحدث عن أصحابها من اليهود والنصارى . وعبدة الأصنام والطاغوت والملائكة والكواكب ... الخ .

وأطلق عليها - مع بطلانها - أدياناً . فى قوله سبحانه - ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (١) .

ومن حديث القرآن عن هذه الأديان وأصحابها . قوله سبحانه : -

١ - ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ (٢) .

وهذه المجادلة بالحسنى من أهم آداب المقارنة بين الإسلام وغيره .

- ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٣) - ففى هذه الآية مقارنة بين الإيمان بإله واحد . والإيمان بالآلهة المتعددة . التى ينشأ من تعددها الفساد فى الكون بسمائه وأرضه .

---

(١) سورة الكافرون آية ٦ .
(٢) سورة العنكبوت آية ٤٦ .
(٣) سورة الأنبياء من الآية ٢٢ .

٢ - ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ (١) - ففى هذه الآية مقارنة بين الخالق القدير . الجدير بالوحدانية والتمجيد . وغيره من الآلهة المتعددة التى لاتستطيع أن تخلق شيئاً ولو اجتمعت عليه .

- ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٢) . - ففى هذه الآية دليل على المقارنة بين الإله الحق . وغيره من الآلهة المتعددة . لأن هذه الآية تتكون من شطرين

الشطر الأول ؟ هو شطر الهدم والنفى : يتكون من جزءين [أرباب - متفرقون]

الشطر الثانى شطر البناء والإثبات يتكون من ثلاثة أجزاء : [الله . الواحد . القهار] .

وهو الذى يَرُدُّ على الشطر الأول رداً محكماً ودقيقاً . يبدو فيه : -

أ : - الرد بثلاثة أجزاء . على جزءين فى الشطر الأول ليقوى جانب البناء والإثبات والحق . على جانب الهدم والنفى والباطل .

ب : - لم يستخدم فى جانب الإثبات فى الجزء الأول من الشطر الثانى - الله - لفظة - رب - بمعنى أن الله سبحانه لم يعبر بلفظة - رب - فى الجزء الأول من الشطر الثانى الخاص بالإثبات . وعبر بلفظة - الله - لأن لفظة - رب - داخلة ضمن المنقى . ولأنها من المشترك اللفظى تطلق على رب العالمين سبحانه وعلى الرب الأسرة ... الخ .

---

(١) سورة النحل الآية ١٧ .

(٢) سورة يوسف آية ٣٩ .

فكان من حكمته سبحانه الإتيان بلفظة تستقل بها الذات العلية . وهى لفظة ـ الله ـ التى تدل بذاتها على الواحدانية المطلقة . حيث إنها لاتقبل التثنية ولا الجمع وأكد بعدها بلفظة ـ الواحد ـ ليرد باللفظتين معاً على الجزء الأول من الشطر الأول وهو ـ أرباب ـ وذلك لقيمة الوحدانية وعظمتها .

جـ : ـ الكثرة من الآلهة أو الأرباب تتصارع فيما بينها . فلا تخلق شيئاً .

فلا يمكن أن يوجد العالم . إذا كانت الآلهة متعددة . ولكن إذا كان الإله واحداً قادراً ذا سلطان . فإنه سبحانه هو الذى يخلق ويقهر المخلوقات تحت سلطانه . ولذا كانت لفظة ـ القهار ـ من الشطر الثانى رداً على لفظة ـ متفرقون ـ فى الشطر الأول .

وفى القرآن الكريم العديد من المقارنات أو الموازنات بين عظمة ذات الله تعالى . وغيره مما لاينفع ولا يضر . ولا يسمع ولايبصر . ولايغنى من الحق شيئاً .

موقف السنة النبوية الشريفه من المقارنة بين الأديان :ـ

لقد اهتم الرسول ﷺ بمقارنة الإسلام بغيره . كما تفيد ذلك كتب السنة والسيرة . لما لهذه المقارنة من أثار إيجابية فى نشر الإسلام بين المدعويين . وتتمثل تلك المقارنة فى المحاورات التى كان يجريها النبى ﷺ مع المشركين . واليهود والنصارى . والتى كان لها أكبر الأثر فى دخول كثير من المشركين واليهود والنصارى فى الإسلام . ومن تلك المحاورات :

أ ـ روى أن النبى ﷺ تلا قوله تعالى ـ ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ (١) فقال له ابن الزبعرى : خصمتك ورب

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٨ .

الكعبة.أليست اليهود عبدوا عزيراً. والنصارى المسيح. وبنوا مليح الملائكة. ؟

فرد عليه النبي ﷺ . بقوله : ما أجهلك بلغة قومك .

أما فهمت أن ـ ما ـ لما لايعقل ؟ (١) .

وإذا قيل : إن [ما] قد تستعمل لما يعقل أيضاً . فيخصص ذلك أن كل من يحب أن يُعْبد من دون الله . أو يُعْبد مع الله سيكون مع عابديه فى النار . وليس هؤلاء منهم . كما فى قوله سبحانه ـ ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (٢) .

وقوله سبحانه مخاطباً عيسى عليه السلام ـ ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ (٣) .

وقوله سبحانه ـ ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ (٤) .

وكان من بركات هذه المحاورة وأمثالها أن هدى الله تعالى ابن الزبعرى وأمثاله للإسلام (٥) .

---

(١) تفسير أبى السعود جـ ٦ صـ ٨٥ ـ ٨٦ .

(٢) سورة الفرقان آية : ١٧ ـ ١٨ .

(٣) سورة المائدة آية ١١٦ .

(٤) سورة سبأ آية ٤٠ ـ ٤١ .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ صـ ٢٧ .

ب : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حضرت عصابة من اليهود إلى رســول الله ﷺ . فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لايعلمهن إلا نبى . فقال ﷺ : سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لى ذمة وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم عن شئ فعرفتموه لتتابعننى على الإسلام : فقالوا ذلك لك . فقال رسول الله ﷺ : سلوا عما شئتم . قالوا أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن

أخبرنا أىَّ الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ .

وأخبرنا كيف ماء الرجل وماء المرأة . وكيف يكون الذكر منه والأنثى ؟ .

وأخبرنا بهذا النبى الأمى فى التوراة ؟ ومن وليه من الملائكة ؟ .

فقال النبى ﷺ . عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعننى ؟ فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق .

فقال : نشدتكم بالذى أنزل التوراة على موسى . هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من مرضه ليُحَرِّمَنَّ أحبَّ الطعام والشراب إليه . وكان أحبُّ الطعام إليه لحوم الإبل . وأحبُّ الشراب إليه ألبانَها . فقالوا : اللهم نعم .

فقال رسول الله ﷺ : اللهم أشهد عليهم .

وأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض . وأن ماء المرأة رقيق أصفر . فأيهما علا كان الولد والشبه بإذن الله عز وجل . وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله . وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن

الله عز وجل . قالوا : اللهم نعم . قال : اللهم أشهد . وأنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى . هل تعلمون أن النبى الأمى تنام عيناه ولاينام قلبه . قالوا : اللهم نعم . قال : اللهم أشهد قالوا : أنت الآن . فحدثنا : من وليك من الملائكة . فعندها نجامعك أو نفارقك ؟ . قال : فإن ولى من الملائكة جبْريل . ولم يبعث الله نبياً قط . إلا وهو وليه . قالوا فعندها نفارقك . ولو كان وليك سواه من الملائكة تبعناك وصدقناك . قال : فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا (١) . فأنزل الله عز وجل . ـ ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . . . الآيات ﴾ (٢)

وكان لهذه المحاورة وأمثالها بالغ الأثر فى دخول كثير من اليهود فى الإسلام .

جـ ـ روى ابن إسحاق وغيره أن رسول الله ﷺ قدم عليه وفد نصارى نجران ستون راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم . يؤول أمرهم إلى ثلاثة منهم . وهم : العاقب وكان أميرَ القوم . وذا رأيهم . وصاحبَ مشورتهم . والذى لايصدرون إلا عن رأيه

والسيد . وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم .

وأبو حارثة بن علقمه . وكان أسقفَهم وصاحبَ مدارستهم . وكان رجلاً من العرب من بنى بكر بن وائل . ولكنه تنصر فعظمته الروم وملوكها . وشرفوه وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمونه من صلابته فى دينهم .

وقد كان يعرف أمر رسول الله وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ١٣٩ وما بعدها بروايات كثيرة .

(٢) سورة البقرة آية ٩٨ ـ ١٠١ .

ودخل هذا الوفد على النبى ﷺ فى مسجده بالمدينة بعد صلاة العصر. عليهم ثياب الحبرات جباب وأردية ... يقول من رآهم من أصحاب النبى ﷺ : ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم . وقد حانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله ﷺ ... فصلوا إلى المشرق .

ثم حدثوا النبى ﷺفى شأن عيسى عليه السلام . يقولون : هو الله . ويقولون : هو ولد الله . ويقولون : هو ثالث ثلاثة ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ

فهم يحتجون فى قولهم : هو الله . بأنه كان يحى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام . ويخبر بالغيوب . ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً . وذلك كله بأمر الله . وليجعله الله آية للناس .

ويحتجون فى قولهم بأنه ابن الله . يقولون : لم يكن له أب يعلم . وقد تكلم فى المهد بشئ لم يصنعه أحد من بنى أدم قبله .

ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة . بقول الله تعالى : فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا . فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلت . وأمرت وقضيت وخلقت . ولكنه هو وعيسى . ومريم . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ...

فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله ﷺ أسلما . قالا : قد أسلمنا قال إنكما لم تسلما . فأسلما . قالا : بلى قد أسلمنا قبلك . قال : كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعاؤكما لله ولداً . وعبادتكما الصليب. وأكلكما الخنزير .

قالا : فمن أبوه يامحمد ؟ فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما . فأنزل الله فى ذلك .. صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ...

ثم دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة . فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه . ثم انصرفوا عنه . ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم . فقالوا : ياعبد المسيح ماذا ترى ؟ .

فقال : والله يامعشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل . ولقد جاء بالفصل من خبر صاحبكم . ولقد علمتم أنه مَالاعَنَ قوم نبياً قط . فبقي كبيرهم . ولا نبت صغيرهم . وإنه الاستئصال منكم إن فعلتم . فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم . فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم . فأتوا النبي ﷺ : فقالوا : يا أبا القاسم . قد رأينا ألا نلاعنك . ونتركك على دينك . ونرجع على ديننا . ولكن ابعث معنا . رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا . فإنكم عندنا رضا ... فقال ﷺ أئتوني العشية . أبعث معكم القوي الأمين ... فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح . فدعاه فقال أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه (١).

ويتضح من هذه النصوص وما تضمنته من محاورات دينية هادئة . جواز المقارنة أو الموازنة بين الإسلام وغيره من الأديان الأخرى بشرط أن تكون هذه المقارنة وسيلة هدم لما سوى الإسلام الحنيف . مما يتنافى مع الفطرة السليمة من الأديان الوضعية . أو السماوية التي دخلها التحريف والتبديل . ويبقى دين الله الخالد . فطرة الله التي فطر الناس عليها . وهو الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ٣٦٨ بروايات متعددة .

المبحث الثالث

المبحث الثالث :

فوائد المقارنة بين الأديان :-

إن المقارنة بين الأديان لها فائدة كبيرة للإسلام ذلكم الدين الذى يقرر أن دين الله واحد لجميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . على ما أخبر به النبى ﷺ - الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى . ودينهم واحد (١) .

وهذا الدين الواحد قد ختم بالإسلام الذى دعا إليه خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ .

ونظراً لما أصاب هذا الدين من تحريف وتبديل قبل الإسلام .

ونظراً لوجود أديان وضعية صنعها البشر لأنفسهم .

كان لابد من المقارنة بين الدين الصحيح - الإسلام - وبين غيره من أديان محرفة أو وضعية بالتعرف على أصول وتاريخ كل دين . وإلى أى مدى تأثر أو انحرف . والأسباب التى أدت بأتباعه إلى هذا الانحراف .

وحتما ستكشف المقارنة حقيقة هامة تتمثل فى :

أن المسيحية الحالية ليست هى دين عيسى عليه السلام .

وأن اليهودية الحالية ليست دين موسى عليه السلام .

وأن النصارى واليهود ليسو أتباع عيسى وموسى عليهما السلام . لأنهم حرفوا الكلم عن مواضعة . فأبعدوا ماهو من الدين عن الدين .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل جـ ١٥ صـ ١١٩ .

وادخلوا ماليس من الدين فى الدين

وأن المحاولات التى جرت للانحراف بالإسلام عن وحى الله تعالى ـ قديماً وحديثاً ـ قد باءت بالفشل الذريع . وحفظ الله دينه وكتابه وسنة نبيه ﷺ عن العبث بها. على ما أخبر به سبحانه ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١).

وإذا كان هناك من المسلمين من بعدوا عن الدين الصحيح إتباعاً لأهوائهم وشهوائهم . فإن فى المقارنة إظهاراً لأصُول الإسلام الصحيح . والأسباب التي أدت إلى بُعْدِ بعض المسلمين عنه . وعلاج هذه الأسباب . ليعود المسلمون إلى دينهم الصحيح عوداً حميداً .

أهمية مقارنة الأديان للداعية :

إن الله تعالى شرف المسلم فى هذه الحياة بأنه صاحب رسالة سامية ودعوة حق ثابتة لأنه يسير بنور الله تعالى وهدايته .

كما أن المسلم ـ أى مسلم ـ داعية صادق . وناصح أمين . وكيس فطن . ينصح لخلق الله حباً لهم . وحرصاً عليهم . ورغبة فى نجاتهم من أهوال الدنيا والآخرة . يضع لكل معضلة حلاً . ولكل داءٍ دواءً ـ وما أكثر المعضلات التى تواجه الناس فى دينهم ودنياهم .

ولكن !! كيف يضع الحلول للمعضلات . والدواء للأدواء . من لايعرف المعضلة أو الداء ؟ !

لذا صار من اللازم الضرورى للمسلم ـ لاسيما الداعية ـ أن يعرف شيئ

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .

من أديان الناس ومعتقداتهم وأفكارهم ومذاهبهم ليقارن بينها وبين الدين الحق . لهدمها وتثبيته . وقدوة الداعية فى ذلك الأنبياء والمرسلون - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فقد عقدوا المقارنات العديدة مع أقوامهم كما هو الحال فى قصة نوح والخليل إبراهيم وهود وصالح وشعيب وغيرهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وذلك لأن هذه المقارنات بين العقائد والأديان فيها نصرة للحق ببيان تهافت الباطل .

ثم إن الإسلام دين لا إكراه فيه . إذ يعتمد على الدعوة بالحكمة - إقناعاً عقلياً . واستمالة قلبية . وتحريكا للعواطف والمشاعر والسمو بها عن التقليد الأعمى والتبعية البغيضة .

فيلزم للدعوة إلى الإسلام . الزيادة من المقارنات . لفتح المجال أمام العقل يقارن ويوازن ثم يختار ويؤمن عن قناعة ويقين .

ويؤخذ من ذلك أن الاهتمام بالمقارنة بين الإسلام وغيره . من أهم الأساليب الدعوية المؤثرة التى ينبغى على الدعاة أن يتوسعوا فيها . نظراً للحملات الشرسة على الإسلام من غير المسلمين . بل ومن بعض أبناء المسلمين الذين صنعهم الغرب على عينه .

ونظراً لكثرة الأحتكاك - المباشر وغير المباشر - بين المسلمين وغيرهم . وكثرة التيارات الإلحادية التى تهب على بلاد المسلمين . ولكثرة مايثار فى نفوس بعض المسلمين - لاسيما الشباب - من تساؤلات منبعها التأثر بما يحيط بهم من أفكار وشبهات .

لهذا كله - ولغيره - كان من اللازم الضرورى على الدعاة المسلمين الإلمام بما يجرى والوقوف على أصوله مع المقارنة أو الموازنة بينه فى دقة متناهية وسعة علم بالحكم الدينى . أو النص الذى يصحح أو يخطئ مما ينشر . أو يقال . أو يجرى فى المقارنات أو الموازنات .

وحبذا لو زاد اهتمام المسلمين - لاسيما الدعاة - بالمقارنات أو الموازنات لكل فكرة . ثم الحكم عليها بميزان الإسلام .

لو تم ذلك وتهيأ أمام الدعاة . لكانوا على بينة من أمرهم . ويقين من صدق دعوتهم ، ولكانوا أقدر على درئ المفاسد الفكرية أو العقدية . وردعها فى مهدها .

فوائد معرفة الداعية بالمقارنة بين الأديان :-

لمعرفة الداعية بمقارنة الأديان فوائد عديدة من أهمها :-

١ - أن المقارنة عامل مساعد للداعية . يسهل له دعوة أصحاب الأديان والعقائد والأفكار المنحرفة . بإبراز مواضع الانحراف والفساد فى دياناتهم ومعتقداتهم وأفكارهم .

ثم نقلهم إلى ساحة الإسلام الحنيف . بإبراز صدقه وسلامته من التحريف والتغيير فى مصادره المحفوظة بحفظ الله تعالى .

وإنسجامه مع الفطرة السليمة فى عقيدته وشريعته وعبادته وأخلاقه . ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) - ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .
(٢) سورة الروم آية ٣٠ .

٢ ـ إن وعى الداعية بأحوال الأديان الأخرى وأصحابها يزيده يقيناً بدينه وتمسكاً بدعوته. ويظهر له تميز الإسلام ورفعته. وأنه الدين الحق الذى قام ـ ولا يزال ـ على الوحدانية الخالصة . والعبادة الحقة لله تعالى . والشرع الصالح للبشر إلى يوم الدين .

٣ ـ إن وقوف الداعية على تحريف أصحاب الأديان الأخرى لأديانهم وابتداعهم فيها .

تصديق لخبر الله تعالى عنهم ـ ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ (١) كما أن الإيمان بخبر الله عنهم يصبح إيماناً مفصلاً . بعد أن كان مجملاً .

٤ ـ إن معرفة الداعية بواقع الأديان المحرفة. تبين له مدى الانحراف الواقع فيها . وأسبابه . فيتجنب هذه الأسباب والتى فى مقدمتها الابتداع فى الدين زيادة أو نقصاناً . ويحرص على التمسك بالسنة النبوية الشريفة فى أموره كلها : سيرة وسريرة وصورة .

---

(١) سورة المائدة من الآية ١٢ .

المبحث الرابع

المبحث الرابع

تاريخ دراسة الأديان فى الساحة الإسلامية

أهتم العلماء المسلمون بدراسة الأديان . والمقارنة بينها . وتدوين تلك الدراسات والمقارنات منذ بدايات عصر التدوين - مع سائر العلوم الإسلامية الأخرى كالتفسير والحديث والفقه والتاريخ واللغة ... الخ - وعلى ذلك : فعلم مقارنة الأديان علم إسلامى أصيل كغيره من العلوم الأخرى (١) .

وقد توافرت عدة أسباب أدت إلى نشأة هذا العلم فى الساحة الإسلامية من أهم هذه الأسباب : -

١ : - الحرية الفكرية فى الإسلام :

لقد كان للحرية الفكرية التى رغب القرآن والسنة فى استخدامها لصالح الإنسان فى دينه ودنياه . أكبر الأثر فى نشأة علم مقارنة الأديان منذ البدايات الأولى للدعوة الإسلامية . ونشطت فى الساحة الإسلامية المقارنات ممثلة فى تلك اللقاءات التى جرت بين الرسول ﷺ . وبين أرباب الأديان الأخرى من المشركين واليهود والنصارى (٢) . فى شأن الألوهية . والنبوة . واليوم الآخر . وغير ذلك من القضايا الهامة .

وقد سار على ذلك الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة الكرام . وتبعهم التابعون بإحسان . حتى وضع لذلك - فى الساحة الإسلامية - علم سمى بعلم أدب البحث والمناظرة . وكان يحضر هذه المناظرات بين المسلمين وغير المسلمين كل العلماء على اختلاف دينهم وتخصصاتهم .

---

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : آدم متز جـ ١ صـ ٢٨٤ ومقارنة الأديان - اليهودية - د أحمد شلبى صـ ٢٨ .

(٢) كما سبق بيانه فى صـ ١١ وما بعدها من هذا البحث .

ـ فكان فى مجلس ابى سليمان المنطقى يحيى بن عدى النصرانى وغيره من أهل الأديان .

ـ ورووا أن يوحنا بن ماسويه كان يعقد مجلساً فى بغداد . فيحضره العلماء على اختلاف مذاهبهم من فلاسفة وأطباء وأدباء ومتكلمين .

ـ وكان لأبى حامد الإسفرائينى مجلس قالوا : إنه يحضره ثلثمائة فقيه (١) .

ـ وفى عهد الخليفة المأمون عقدت مجالس للمناقشة فى الأديان والمذاهب والفرق . وكان يحضر فى هذه المجالس أبو الهذيل العلاف (٢) .

٢ ـ سماحة الإسلام . وتسامح المسلمين مع أهل الأديان الأخرى : ـ هذه السماحة . وذاك التسامح . جعل المسلمين يدعون إلى الله على بصيرة . ويجادلون بالحسنى . وجعل غير المسلمين . يتحدثون عن أديانهم بحرية . وكل هذا دفع المسلمين إلى التعرف على الأديان الأخرى ودراستها .

٣ ـ الدفاع عن الإسلام ضد التحديات التى تواجهه :

لقد واجه الإسلام كثيراً من التحديات التى كان يثيرها المشركون واليهود والنصارى . فكان لزاماً على المسلمين أن يواجهوا تلك التحديات بالمقارنة بين صفاء الوحدانية . وشوائب الشرك والمشركين . وبين تعاليم الإسلام وتعاليم اليهودية والنصرانية .

---

(١) ظهر الإسلام : أحمد أمين جـ ٢ صـ ٢٢٩ ط ٥ النهضة المصرية .

(٢) فى الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا : د محفوظ على عزام صـ ٧٣ ط١ دار الهداية الإسلامية بالقاهرة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م .

وبهذا يتأكد أن المقارنة بين الإسلام وغيره من أهم الأساليب الفعالة لمواجهة التحديات التى تواجه الإسلام والمسلمين فى كل زمان ومكان .

كما أن المقارنة من أهم الأساليب الدعوية المؤثرة فى إقناع المدعو بصحة الإسلام . وبطلان غيره .

مراحل علم مقارنة الأديان :-

لقد مر علم مقارنة الأديان بمراحل كثيرة تمثلت فى : -

أولاً مرحلة النشأة والتكوين : وتبدأ هذه المرحلة. بنزول الآيات القرآنية الكريمة التى صرحت بالمقارنة (١) . وبمحاورات النبى ﷺ للمشركين واليهود والنصارى (٢) .

ثانياً - مرحلة التدوين :وقد بدأت هذه المرحلة منذ القرن الثانى الهجرى . حيث يظهر من فهرست ابن النديم أن أول بعثة علمية خرجت من جزيرة العرب لدراسة الأديان الأخرى كانت فى أواخر القرن الثانى الهجرى فى عهد يحيى بن خالد البرمكى وزير الدولة العباسية الذى بعث رجلاً إلى الهند ليكتب له عن أديانها ومعتقداتها وأساطيرها .

وأن هذا الكتاب الذى كتبه هذا الرجل وقدمه إلى يحيى البرمكى . وصل إلى ابن النديم بخط يعقوب ابن إسحاق الكندى المتوفى سنه ٢٥٢هـ وفيه أحوال الهند وعدد ألهتهم . وطريقة عبادتهم . ومعابدهم ... الخ . يقول ابن النديم (٣) : - نسخت هذا الكتاب من كتاب يوم الجمعة لثلاث خلون من

---

(١) راجع صفحة صـ ٨ من هذا البحث .

(٢) راجع صفحة ١١ من هذا البحث .

(٣) فى الفن الثانى من المقالة التاسعة فى الفهرست .

المحرم سنة ٢٤٩ هـ لا أدرى الحكاية التى فى هذا الكتاب لمن هى ؟ إلا أنى رأيته بخط يعقوب بن إسحاق الكندى حرفاً حرفاً. وكانت تحت هذه الترجمة ما حكايته بلفظ كاتبه :حكي بعض المتكلمين أن يحى بن خالد البرمكى بعث رجلاً إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة فى بلادهم. وأن يكتب له عن أديانهم. فكتب هذا الكتاب .

قال محمد بن إسحاق : ـ الذى عنى بأمر الهند فى دولة العرب . يحيى ابن خالد وجماعة البرامكة . ثم ذكر أحوال المعابد . وأسماء الأصنام . وطريقة عبادة الهندوس لآلهتهم . ثم تصورهم عن الله تبارك وتعالى . وما إلى ذلك بشئ من التفصيل (١) .

كما ذكر ابن النديم فى المقالة الخامسة : الحسن بن أيوب . وقال عنه : له كتاب إلى أخيه على بن أيوب فى الرد على النصارى . وتبيين فساد مقالتهم ، وتثبيت النبوة (٢) .

ثالثا :ـ مرحلة الإستمرار والإزدهار: وفى هذه المرحلة

ازدهر علم مقارنة الأديان بزيادة اهتمام العلماء المسلمين بهذا الفن . حيث كثر فيهم المؤلفون والكتاب منذ بداية القرن الثالث الهجرى . ومن

---

(١) الفهرست : ابن النديم صـ ٤٨٤ .

(٢) السابق صـ ٢٤٦ ويلاحظ أن هذا الجهد لعلماء المسلمين فى مجال دراسة الأديان والعقائد . يكشف بجلاء خطأ الكاتب السويسرى ـ آدم متز ـ حين يقول : إن المسلمين تأخروا فى دراسة الأديان الأخرى إلى القرن الرابع الهجرى ـ لأن هذا القول فيه تحامل على المسلمين . وتجاهل لتاريخهم .

ـ يراجع الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : آدم متز جـ ١ صـ ٣٨٤ .

أشهر من عنى بدراسة ومقارنة الأديان والملل والنحل المختلفة على ترتيب وفياتهم (١) :

١ : ـ النوبختى ـ ٢٠٢هـ ـ الحسن بن موسى بن الحسن النوبختى . له كتاب ـ الآراء والديانات ـ و ـ الرد على أصحاب التناسخ ـ و ـ فرق الشيعة ـ

٢ : ـ المسعودى ـ ٣٤٦ هـ ـ على بن الحسين بن على . مؤخ ورحالة . وبحاثة .من أهل بغداد . له كتاب ـ المقالات فى أصول الديانات ـ و ـ المسائل والعلل فى المذاهب والملل .

٣ : ـ المسبحى ـ ٤٢٠هـ ـ محمد بن عبد الله بن أحمد المسبحى . عالم بالأدب والتاريخ . له معرفة بالأديان . وله كتاب ـ درك البغية فى وصف الأديان . والعبادات ـ

٤ : ـ البغدادى ـ ٤٢٩هـ ـ عبد القاهر بن طاهر البغدادى التميمى الإسفرائينى . من أئمة الأصول . له كتاب ـ الفرق بين الفرق ـ و ـ الملل والنحل ـ

٥ : ـ البيرونى ـ ٤٤٠هـ ـ محمد بن أحمد أبو ريحان البيرونى . أقام فى الهند عدة سنوات واطلع خلالها على كتب الهندوس وعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم . فألف كتابه الشهير ـ تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ـ وجعله كتاب حكاية لمذاهب الهند على وجهها . لا كتاب حجاج وجدل . ولذلك لم يناقص الخصوم . ولم يتحرج من حكاية كلامهم (٢) ـ

---

(١) اليهودية : د أحمد شلبى صـ ٢٨ .

(٢) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع جـ ١ صـ ٣٨٥ .

٦ ـ ابن حزم ـ ٤٥٦هـ ـ على بن أحمد بن سعيد بن حزم .إمام الظاهرية ومحدث الأندلس . وقف على كثير من الديانات والملل والنحل .

ورأى أن البعض أطال وأسهب . وأكثر وهجر . واستعمل الأغاليط مما يؤثر على أذهان الناس . والبعض الآخر قصر. فكان غير منصف . والبعض عقد .

فرأى ابن حزم أن يجمع كتابه الفصل . قاصداً إيراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية . أو الراجعة إلى الحس (١) .

وواضح من هذا أن ابن حزم يمتاز فى كتابه الفصل بوضوح طابع النقد والجدل .حتى استطاع أن يؤلف أشهر كتاب فى بيان زيغ اليهود والنصارى والصابئة والمجوس التى رآها لاتتفق مع ظاهر النصوص الشرعية فى الكتاب والسنة .

وهذا المنهج للإمام ابن حزم فى كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل . منهج جيد . ولكنه لم يعمق الأفكار أو يؤصلها . كما أنه لم يوازن أو يقارن بينها . ثم إن حكمه فى بعض الأحيان تنقصه السعة والشمول . نظراً لتمسكه بظاهر النصوص . دون التعمق فيها . وفيما تحويه من معان ينبغى اعتبارها فى الحكم .

وعلى كلٍ فإن الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ مع أنه تشدد فى التمسك بظاهر النصوص إلا أنه قد غطى كثيراً من الأفكار والمعتقدات بالحكم عليها

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ١ صـ ٩ .

من وجهه النظر الإسلامية . وقد كفرٌ . أو زندق . أو فسَّق . أو بدَّع . بعض أصحاب الأفكار والمعتقدات طبقاً لخطورة آرائهم أو بعْدها عن مبادئ الإسلام .

٧ : ـ الغزالي ـ ٥٠٥ هـ ـ حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي . له كتاب ـ الرد الجميل ـ الذى رد فيه على النصارى . وقد حقق هذا الكتاب وعلق عليه الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمى الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية السابق .

٨ ـ الشهر ستانى ـ ٥٤٨ هـ ـ محمد بن عبد الكريم أبو الفتوح المعروف بالشهر ستانى ـ أحد فلاسفه الإسلام . وإمام فى علم الكلام والأديان . وقف على كثير من المؤلفات فى الأديان والعقائد والفرق . كما أشار إلى ذلك فى مقدمة كتابه ـ الملل والنحل ـ حيث يقول : ـ ... فلما وفقنى الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل . وأهل الأهواء والنحل . والوقوف على مصادرها ومواردها .

واقتناص أوانسها وشواردها (١) . أردت أن أجمع ذلك فى مختصر يحوى جميع ماتدين به المتدينون وانتحله المنتحلون . عبرة لمن استبصر . واستبصاراً لمن اعتبر ـ (٢) .

وقد اعتبر كتاب ـ الملل والنحل من أهم المراجع فى الأديان والعقائد والفرق .

---

(١) أوانسها جمع آنسه ويراد بها المعلومات القيمة. وشواردها . جمع شاردة ويراد بها المعلومات النادرة .

(٢) الملل والنحل جـ ١ صـ ٩ .

٩ ـ أبو عبيدة الخزرجي ـ ٥٨٢ هـ ـ أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الأنصارى الخزرجي . فقيه الأندلس . مؤلف كتاب ـ بين الإسلام والمسيحية ـ الذى رد فيه على مزاعم القسيس ـ حنا مقار ـ شارحاً ما حرفه المسيحيون فى النصرانيه .

١٠ ـ أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى ـ ٦٦١هـ ـ له كتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ـ

١١ ـ ابن تيميه ـ ٧٢٨ هـ ـ أحمد بن عبد السلام الحرانى العالم الموسوعى . والفقيه الحنبلى المشهور . مؤلف كتاب ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ وهو من أهم الكتب الإسلامية فى الرد على افتراءات النصارى على المسيح والمسيحية .

١٢ ـ ابن القيم ـ ٧٥١هـ ـ أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الدمشقى المشهور بابن قيم الجوزية . مؤلف كتاب ـ هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ـ .

رابعاً : مرحلة الضعف والاختفاء : وفى هذه المرحلة أصيب علم مقارنة الأديان بالضعف والذبول . ثم الاختفاء من الساحة الإسلامية لمدة طويلة .. ولهذا الاختفاء أسباب كثيرة (١) . منها : ـ

١ ـ ازدحام قصور الملوك والأمراء والخلفاء بغير المسلمين من اليهود والنصارى والمجوس الذين كان منهم الأطباء والوزراء والزوجات . وبنفوذ

---

(١) الثقافة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة : د سعيد الصاوى صـ ٤٠٤ ـ ٤٢٤ .

هؤلاء . ضعف صوت علم مقارنة الأديان . بإسكات أصوات المتحدثين فى مقارنة الأديان . والتقليل من أهمية هذا العلم فى المناهج والدراسة .

٢ ـ الاشتغال بمواجهة القوة بالقوة :وذلك عندما زحف الصليبيون على العالم الإسلامى خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ـ ٤٩١/٦٩٢ هـ ـ ١٠٩٧ / ١٢٩٢م ـ وأرادوا تدمير العالم الإسلامى . وأحس المسلمون أن هؤلاء الصليبيين لايعرفون التسامح الدينى. ولا الجدال بالحسنى. ويستحلون دماء المسلمين أخذ المسلمون يواجهون القوة بالقوة . وبالتالى خفت صوت المجادلة بالحسنى . ويوماً بعد يوم . ضعف علم مقارنة الأديان.

٣ ـ شيوع التعصب المذهبى بين أتباع المذاهب الفقهية . وما ترتب عليه من قلة أو انعدام اطلاع أتباع مذهب على المذاهب الأخرى .

ومن باب أولى قل أو انعدم اطلاعهم على الأديان الأخرى . مما نتج عنه ضعف علم المقارنة بين الأديان أو المذاهب .

٤ ـ تبنى بعض المسلمين الاتجاه السائد لدى أرباب الأديان قبل الإسلام من اعتبار الأديان الأخرى هرطقة وضلالاً . لاتستحق الاهتمام أو المقارنة بينها وبين ما عليه الإنسان . ووجد من المسلمين من يهاجم مقارنة الأديان باعتبار أن الإسلام لايقارن بسواه ! !

خامساً : ـ مرحلة الانتقال إلى الغرب : إن الغربيين اطلعوا على جهود المسلمين منذ زمن بعيد . ولإعجابهم بهذه الجهود كانوا يرسلون وفودهم إلى الشرق الإسلامى للتزود من هذه الجهود. والعودة بها إلى بلادهم. ومن أهم العلوم التى تعلمها الغربيون من المسلمين . علم مقارنة الأديان .

وإذا كان المسلمون فى عصور الضعف قد أهملوا مقارنة الأديان لسبب أو لآخر . فإن موقف الغربيين يختلف تماماً . فقد اهتموا بهذا العلم اهتماماً كبيراً . وذلك : ـ

أ : ـ لأن اللقاءات السلمية بين المسلمين والغربيين فى الشام والأندلس وصقلية عرفت الغربيين بأهمية مقارنة الأديان . وأثبتت لهم قيمة هذا العلم . فراحوا يتقنون أسسه . ويحاولون الانتفاع به فى نشر باطلهم . وغمز الإسلام والمسلمين .

ب : ـ لما جاء عصر الاستعمار السياسى والعسكرى والفكرى . قرر الخبراء من المبشرين إن الإنسان به نزعة دينية فى أعماقه . مهما كان مادياً . أو تظاهر باللادينية .

جـ : ـ كما قرروا أن رباط الدين بين الناس لايقل أهمية عن رباط الدم والجنس . بل هو أشد .

د : ـ ثم إن معرفة الداعى بدين المدعو يساعد كثيراً فى التأثير عليه .

وبناءً على هذه الأسس زاد علم مقارنة الأديان فى الغرب نشاطاً ليكون من وسائل التبشير ونشر المسيحية (١) .

ومع أن اهتمام الغربيين بهذا العلم بدأ منذ فترة إلا أنه لم يظهر بصورة ملحوظة إلا فى أوائل القرن العشرين الميلادى . بوجود دراسات وأبحاث ودوائر معارف كاملة عن الأديان والمذاهب والفرق. بالإضافة إلى فتح أقسام

---

(١) اليهودية : د . أحمد شلبى صـ ٣٠ .

علمية متخصصة لهذا المجال فى الجامعات الغربية . وتشجيع الدراسين والباحثين للالتحاق بها . من أجل خدمة هذا العلم وتطويره ليكون وسيلة من أهم وسائلهم فى نشر دينهم . والوصول إلى تحقيق أهدافهم الاستشراقية والتبشيرية .

ومن أشهر الغربيين الذين لهم نشاط ظاهر فى علم مقارنة الأديان : -

١ : ـ البارون كاراد يفو : الذى عقد موازنة بين ماكتبه كل من البيرونى والمسعودى عن المسيحية. ورأى أن البيرونى أكثر معرفة من المسعودى بالمسيحية .

٢ : ـ المستشرق الألمانى إدوارد سخاو : الذى ترجم إلى الانجليزية كتاب البيرونى - تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة - فكان من المهتمين بأعمال البيرونى منذ عام ١٨٨٧م . (١) .

٣ : ـ الأب بينارى لابوليه : صاحب كتاب - الدراسة المقارنة للديانات - (٢).

٤ : ـ آسين بلاثيوس :الذى نشر النص العربى لكتاب - الرد على اليهود للرقيلى وكتاب - الرد على النصارى - لأبى القاسم القيسى . مع ترجمتهما إلى الأسبانية (٣) .

٥ : ـ أرندونك : كاتب مادة ابن حزم فى الموسوعات الإسلامية (٤) .

---

(١) الرد الجميل . للغزالى . تحقيق عبد العزيز عبد الحق حلمى صـ ٧٦ .

(٢) السابق صـ ٧٧ .

(٣) السابق صـ ٧٩ .

(٤) السابق صـ ٩٢ .

إلى غير هؤلاء من المستشرقين الذين أصدروا كثيراً من دوائر المعارف فى الأديان . منذ بداية القرن العشرين . ومن أشهر هذه الدوائر :

أ : ـ دائرة معارف الدين والأخلاق التى نشرها الدكتور ستينجرلأول مرة عام ١٩٠٨م .

ب : ـ دائرة المعارف الألمانية . عن الدين فى الماضى والحاضر . وقد ظهرت طبعتها الأولى عام ١٩١٤م والثانية ١٩٢٧م .

جـ : ـ دائرة المعارف الإسلامية . لمجموعة من المستشرقين . وقد ظهرت طبعتها الأولى ١٩٢٧م باللغات الإنجليزية . والفرنسية . والألمانية . وقد ترجمت بعض أجزائها إلى اللغة العربية .

د : دائرة المعارف المختصرة عن الأديان . التى نشرها ـ زينر ـ أستاذ مقارنة الأديان بجامعة أكسفورد ـ عام ١٩٥٩م (١) .

إلى غير ذلك من الأعمال التى استطاعوا من خلالها جذب انتباه المسلمين . حتى تتلمذ بعض أبناء المسلمين على أيديهم . وحملوا أفكار أساتذتهم إلى بلدانهم العربية الإسلامية متأثرين بها . مدافعين عنها .

وإحقاقاً للحق أقول : إن الغربيين هم الذين اقتربوا إلى حد ما من المنهج العلمى فى الدراسة المقارنة أو الموازنة بين الأفكار فى مختلف الأديان والمذاهب .

والقيام بتأصيل بعضها وإرجاعه إلى مصادره الأولى . مع بيان سبقه على غيره أو تأخره عنه . أو تفرعه عما سواه .

---

(١) فى الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا : د محفوظ عزام صـ ٧٤ .

جهد الغربيين مشكور. ولكن !!.

إنه مع إشادتنا بجهد الغربيين فى مجال المقارنة بين الأديان . واقترابهم من *المنهج العلمى فى هذا المجال - إلى حد ما - إلا أنه ينبغى التنبه إلى* بعض الأمور :

الأول : - إن الغربيين لم يكونوا محايدين فى المقارنة . حيث وجدت عندهم فكرة أصاله اليهودية والنصرانية . وتفرع الإسلام عنهما . ووضعوا هذه الفكرة نصب أعينهم . فأرجعوا كل شئ فى الإسلام إلى ما يشابهه فى اليهودية والنصرانية زاعمين أخذه منهما ! !

الثانى : لم يعترف الغربيون أن الإسلام دين سماوى . ويزعمون أنه من عند محمد ومن عبقريته التى استطاعت أن تؤلف ديناً منبثقاً من الآديان السابقة .

الثالث : - إن الغربيين اتجهوا بالمقارنة إلى تحقيق خطة مرسومة لديهم . تقضى بزعزعة الإسلام فى نفوس المسلمين . بدلاً من الاتجاه إلى خدمة الحقيقة العلمية وصدق الله العظيم - ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (١) .

الرابع : - إن الغربيين بسبب جهلهم بأحكام الإسلام من مصادره . ولاستشهادهم ببعض النصوص دون بعض . ولجهلهم بقواعد اللغة العربية ودلالاتها وأساليبها . افتقدوا صواب الحكم في المقارنة . خاصة بين الإسلام وغيره .

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٢٠ .

سادساً : ـ مرحلة عودة مقارنة الأديان إلى الساحة الإسلامية : ـ فى هذه المرحلة وفى ظلال الصحوة الإسلامية المباركة التى يعيشها العالم الإسلامى المعاصر . أفاق المسلمون من عفوتهم . وانتبهوا من غفلتهم . وطفقوا يستعيدون مجدهم . ويحبون من جديد علم مقارنة الأديان . ليؤكدوا من خلاله للعالم أجمع . صحة الإسلام الحنيف . والدعوة إليه .

ومع هذا الجهد العظيم لعلماء المسلمين المعاصرين تجاه علم مقارنة الأديان . إلا أنه ـ مع الأسف الشديد ـ حذا به معظمهم حذو المستشرقين فى الدراسة والتسمية . دون أن يرجعوا إلى الميزان اللغوى . أو يحتكموا إليه فى اختيار اللفظة المناسبة لموضوع الدراسة .

وهكذا عاد هذا العلم إلى الساحة الإسلامية . إلا أنه يحتاج إلى كثير من العناية والاهتمام ليؤدى دوره كاملاً فى التعريف بحقيقة الاسلام والدعوة إليه . ورد كيد الكائدين ، وقد توالت وتتابعت جهود العلماء المسلمين فى علم مقارنة الأديان فى العصر الحديث ومن أشهرهم .

أ : ـ الإمام محمد عبده فى كتابه ـ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة.

ب : ـ الامام محمد أبو زهرة فى كتابه ـ محاضرات فى النصرانية ـ

جـ : ـ الدكتور أحمد شلبى فى سلسلة مقارنة الأديان ـ اليهودية . والمسيحية . والإسلام . وأديان الهند الكبرى ـ

د : الشيخ رحمت الله الهندى فى كتابه ـ إظهار الحق ـ

وكل هؤلاء العلماء وغيرهم من القدامى منهم والمحدثين . قد بذلوا جهوداً مشكورة فى مجال دراسة الأديان . وأعطوا صورة مشرقة عن نشأة هذا العلم وأهميته فى نشر الإسلام والدعوة إليه .

منهج الباحثين فى المقارنة بين الأديان :ـ

بالنظر فيما كتب من مؤلفات عن الأديان : السماوية والوضعية . للمؤلفين القدامى والمحدثين . من المسلمين وغير المسلمين . يتبين : ـ

أ : ـ هناك نوع من المؤلفات اهتم مؤلفوه اهتماماً كبيراً بسرد الأفكار والمعتقدات الواردة عن أصحابها فى الأديان والفرق المختلفة كما هى ـ دون أن يقوموا بمهمة الموازنة بينها . أو الحكم عليها من وجهة النظر الإسلامية.

فكانت هذه المؤلفات بمثابة التاريخ لهذه الأديان والفرق . ومن هذا ماذهب إليه الشهرستانى فى الملل والنحل (١) . وكذلك. وعبد القاهر البغدادى فى الفرق بين الفرق .

ولايظنن ظان أننانتهم هؤلاء المؤلفين وأمثالهم بالتقصير أو القصور . لعدم إقامة الموازنة أو المقارنة .

بل لهم جهدهم المشكور لما قاموا به من جمع المادة العلمية . وتصنيفها . وتبويبها . فهذه مهمة شاقة . وخاصة إذا كانت هى المحاولة البكر .

ولولا هذه المادة العلمية ما استطاع المؤلفون بعدهم أن يجدوا الأفكار حاضرة ليوازنوا بينها . فهؤلاء المؤلفون القدامى جمعوا الأفكار . ودونوها . وتركوها لمن بعدهم ليقارنوا أو يوازنوا بينها .

ب : ـ وهناك نوع آخر من المؤلفات اهتم مؤلفوه بالحكم على الأفكار والمعتقدات ويمثل هذا الاتجاه الإمام ابن حزم فى كتابه الفصل حيث درس أسفار العهدين القديم والجديد دراسة متأنية وعميقة جعلته ـ بحق ـ أول من قارن مقارنة علمية بين الإسلام وغيره بنقد نصوص الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى .

---

(١) جـ ١ صـ ١٢ .

المنهج الصواب والمأمول :ـ

يتمثل المنهج الأمثل للموازنة أو المقارنة فى عدة نقاط . من أهمها :ـ

١ :ـ جمع أصول الفكرة ـ موضوع المقارنة ـ من كل دين أو مذهب . مع التثبت من صحتها فى الدين أو المذهب .ثم العودة بها إلى جذورها الأصلية .

٢ :ـ الموازنة بين تلك الأصول . مع مراعاة الكليات والجزئيات بكل دقة .

٣ :ـ الرجوع إلى الإسلام الحنيف لسوق الدليل الحاكم على طرفى الموازنة . وذلك لأن الإسلام بمصدريه ـ الكتاب والسنة ـ وبحفظ الله تعالى لكتابه من التحريف . يعتبر هو المصدر اليقينى فى العلم باعتراف الغربيين أنفسهم (١) .

إذاً . ليس هناك ميزان صحيح توزن به الأمور . إلا الإسلام . وليس ذلك تعصباً . أو تجنيا على الحق .

ولا عيب أن نتعصب للإسلام .لأنه الحق باعترافهم . وإذا لم نتعصب للحق فإلى أى شئ نتعصب ؟ !

٤ :ـ يلزم لهذا المنهج وسائل لتحقيقه فى الواقع الملموس . وأهم هذه الوسائل : سعة العلم والمعرفة ، ودقة العلم بالموازنة .

٥ :ـ إذا توفر ذلك المنهج ووسائله . تكون النتيجة محققة فى هدم الباطل

---

(١) يراجع فى ذلك كتاب موريس بوكاى ـ دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة . وكتاب الله يتجلى فى عصر العلم : تأليف مجموعة من المستشرقين . ترجمة د الدمرداش عبد المجيد سرحان .

ممثلاً فيما سوى الإسلام . وتثبيت الحق ممثلاً فى دين الإسلام الذى ارتضاه الله تعالى لنفسه ولخلقه ـ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ (١)

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (٣) .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٣) سورة المائدة آية ٣ .

المبحث الخامس

المبحث الخامس :

تعريف - الدين - لغة واصطلاحا :

ان كلمة - دين - كلمة أصيلة فى اللغة العربية . وليست دخيلة أو معربة عن العبرية أو الفارسية فى كل استعمالاتها . أو فى أكثرها - كما يزعم بعض المستشرقين -

وما هذا الزعم إلا نزعة عنصرية تريد تجريد العرب من كل فضيلة . حتى فضيلة البيان التى هى أعز مفاخر العروبة والإسلام .

ثم إن هذه الكلمة من أغنى الكلمات العربية معنى . وأكثرها تنوعاً . لأنها تشمل جوانب كثيرة من مجالات الحياة . فهى على ما يذكر جهابذة اللغويين تتعلق بمعانى : الجزاء . والعادة . والعبادة . والطاعة . والداء . والدواء . والحساب . والقهر . والغلبة . والسلطان . والملك . والحكم والسيرة والتدبير. والتوحيد . وما يعبد الله به . والملة . والورع . والمعصية . والقضاء .. غير ذلك .

وبالتأمل فى هذه المعانى يظهر أن منها ما يتعارض أو يتضاد مع الآخر. وعلى هذا : يكون كلمة - دين - من ألفاظ التضاد . بحيث تدل على المعنى وعلى ضده . على حد ما قاله ابن الأعرابى وثعلب : -

دان الرجل إذا عز . ودان إذا ذل . ودان إذا أطاع . ودان إذا عصى . ودان إذا اعتاد خيراً أو شراً . ودان إذا أصابه الديْن . ودان إذا قهر . فهو من الأضداد (١) .

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ صـ ١٩١ وما بعدها .

ومما تدل عليه الكلمة - دين - تفصيلاً ما يأتي : -

١ : - الدين : الجزاء والمكافأة . يقال : دنته بفعله ديناً : جزيته وكافأته .

ويوم الدين : يوم الجزاء ومنه قوله تعالى

﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ (١) ـــ ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ (٢) - ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ (٣) - ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ (٤) .

٢ : - الدين : الحساب . ومنه قوله تعالى - ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ (٥) - أى ذلك الحساب الصحيح . والعدد المستوى .

٣ : - الدين : الطاعة . يقال : دنته ودنت له : أطعته .

ومنه قوله تعالى - ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (٦)

أى أحسن طاعة . وقوله - ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الأنفطار آية ١٥ - ١٩ .
(٢) الصافات آية ٢٠ .
(٣) سورة الماعون آية : ١ - ٣ .
(٤) سورة الصافات آية ٥٣ .
(٥) سورة التوبة آية ٣٦ .
(٦) سورة النساء من الآية ١٢٥ .
(٧) سورة النساء من الآية ١٧١ .

٤ : ـ الدين : الإسلام وهو الدين الحق الذى ميزه الله تعالى عن غيره من الباطل .

ومن هذا المعنى قوله تعالى ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (١)

ـ ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٢) ـ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٣) ـ

٥ : ـ الدين العادة والشأن . تقول العرب : مازال ذلك دينى وديدنى . أى عادتى . يقول المثقب العبدى يذكر ناقته :

تقول إذا دَرَأتُ لها وضينى .. أهذا دينه أبداً ودينى . ؟

أى أهذا عادته وديدنه ؟ !

٦ : ـ الدين : الذل والاستعباد والقهر والغلبة : ومنه قول الأعشى يمدح رجلاً : هو دان الرباب إذا كرهوا الديـ .. ين دراكاً بغزوة وصيال .

ثم دانت بعد الرباب وكانت .. كعذاب عقوبة الأقوال .

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٣ .

(٢) سورة التوبة آية ٢٩ ،

(٣) سورة النصر بأكملها .

قوله : دان الرباب : يعنى أذلها . وقوله : ثم دانت بعد الرباب : أى ذلت له وأطاعته (١) .

والمدين : العبد . والمدينة : الأمة والمملوكة كأنها أذلهما العمل . قال الأخطل :

ربت وربا فى حجرها ابن مدينة .. يظل على مسحاته يتركل .

قال أبو عبيدة : أى ابن أمة (٢) .

وربما ذهب ذاهب إلى أن كلمة ـ المدينة ـ فى مقابل كلمة ـ البادية ـ تشعر بأن سكانها مقهورون مذلولون بحكم اللوائح والقوانين وسلطان الحاكم . بخلاف سكان البوادى . فإنهم أكثر تمتعاً بحريتهم . وأشد بعداً عن التقييد بسلطان الحكام .

٧ : ـ الدين : الحكم والقضاء . ومنه قوله تعالى ـ ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ (٣) قال قتادة : فى قضاء الملك (٤) .

٨ : ـ الدين : الداء . ومنه : أنشد : يا دين قلبك من سلمى وقد دينا ـ

قال المفضل : معناه يا داء قلبك القديم .

٩ : ـ الدين : الخدمة والإحسان . يقال : دنت الرجل : خدمته وأحسنت إليه .

١٠ : ـ الدين : السياسة والملك . يقال :دنته. أدينه . ديناً: سسته. ودنته : ملكته .

---

(١) الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية جـ ١٨ صـ ١٤٧ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) سورة يوسف آية : ٧٦ .

(٤) تفسير أبى السعود جـ ٤ صـ ٢٩٧ .

قال الحطيئة : لقد دُيّنتَ أمر بنيك حتى .. تركتهم أدق من الطحين .

يعنى : مُلّكْتَ . ويروى: سوِّست. يخاطب أمه . والديان :السائس . وأنشد بيت ذى الإصبع العدوانى :

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حب .. يوما ولاأنت ديَّانى فتخزونى !

قال ابن السكيت : أى ولا أنت مالك أمرى فتسوسنى (١).

١١ : ـ الدين : الحال . قال النضر بن شميل : سألت أعرابياً عن شئ . فقال : لو لقيتنى على دين غير هذه لأخبرتك (٢) . أى على حال غير هذه ..

تعليق : ـ

يظهر للباحث من هذه المعانى المتعددة والمتناقضة ـ فى ظاهر اللفظ ـ أن كلمة ـ دين ـ فى مفهومها العام. تحوى كل هذه المعانى. أو هى لازمة من لوازمها (٣). ويلحظ من وراء هذا التعدد والتضاد تقارباً شديداً وصلة قوية. لأن هذه المعانى كلها مأخوذة من [ـ الدال . والياء . والنون ـ وهى أصل واحد إليه يرجع فُرُوُعُهُ كُلّها . وهو جنس من الانقياد والذل] (٤) .

سواء تعدى بنفسه ـ دانه يدينه ـ أم تعدى باللام ـ دان له ـ أم تعدى بالباء ـ دان به ـ

فإذا تعدى الفعل ـ دان ـ بنفسه. كان معناه :الجزاء والمكافأة . والحساب. والذل والقهر والغلبة . والحكم والقضاء . والسياسة والملك .

---

(١) الموسوعة جـ ١٨ صـ ١٤٨ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) كل من عرف الدين بمعنى معين من هذه المعانى . واقتصر عليه دون سواه . فإنما نظر إلى كلمة ـ دين ـ من زواية واحدة فقط .

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس . وذلك لان ـ دانه ـ تعنى ألزمه الانقياد. ودان له تعنى التزم الانقياد له . ودان به تعنى المبدأ الذى يلتزم الانقياد له .

فالمعنى فى هذا الاستعمال يدور حول الحكم والتصرف . بما هو شأن الحكام والملوك . من سياسة الأمور وتدبيرها . ومحاسبة الناس ومجازاتهم وقهرهم وغلبتهم . وهذه المعانى متكاملة مع بعضها

وإذا تعدى الفعل - دان - باللام - دان له - كان معناه : الخضوع والطاعة.

والإسلام والانقياد . والخدمة . أو العبادة . والورع .

فالمعنى فى هذا الاستعمال يدور حول الطاعة والخضوع .

وهذا المعنى ملازم للمعنى الأول ومبنى عليه . أو ناتج عنه . - دانه . فدان له - بمعنى . حكمه فخضع له وأطاع .

وإذا تعدى الفعل - دان - بالباء - دان به - كان معناه السيرة أو المنهج أو الطريق أو المذهب الذى اعتقده أو اعتاده أو تخلق به .

فالمعنى فى هذا الاستعمال يدور حول المنهج الذى يلتزم به الإنسان نظرياً وعملياً .

ويعنى بالنظرى عقيدته المتمثلة فى الإيمان بما يجب الإيمان به . ورأيه الذى يعتنقه " ومن ذلك قولهم - دَيَّنْتُ الرجل - أى وكلته إلى دينه ولم أعترض عليه فيما يراه سائغاً فى اعتقاده .

ويعنى بالعملى عادته وسيرته . المتمثلة فى امتثاله للأوامر والنواهى بالانقياد والتسليم . كما يقال : - هذا دينى وديدنى - أى عادتى .

ولايخرج تعدى الفعل - دان - بالباء عن تعديه بنفسه أو باللام. فالتعبيرات الثلاثة تكمل بعضها بتنسيق محكم. [لأن العادة أو العقيدة التى يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها ويلتزم اتباعها] (١) .

---

(١) الدين للدكتور محمد عبد الله دراز صـ ٢٦ بتصرف .

وخلاصة القول : إن كلمة - دين - من الناحية اللغوية . تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر .

وهي في جانب كل من الطرفين . وفي العلاقة . تعطي معنى مستقلاً في التعبير عن هذه الجوانب الثلاثة .

طرف أول : مُعَظِّم .

وطرف ثان مُعَظَّم .

والعلاقة بين المُعَظِّم والمُعَظَّم .

فإذا وصف بها الطرف الأدنى من طرفي هذه العلاقة - المعظِّم - فقيل مثلاً - دان العبد لربه -

دلت في جانبه على معنى الخضوع والطاعة والاستسلام والانقياد .

وإذا وصف بها الطرف الأعلى . فقيل مثلاً - دان اللهُ العبادَ -

دلت في جانبه على معنى الحكم والسلطان والقهر والغلبة .

وإذا عُبِّر بها عن العلاقة بين الأدنى والأعلى

أعطت معنى الدستور أو المنهج المنظم لتلك العلاقة بين الطرفين - الأدنى والأعلى -

تعريف الدين اصطلاحاً :-

هناك خلاف بين الباحثين فى هذا الموضوع . بمعنى : هل يمكن وضع تعريف جامع مانع للدين . أولا ؟ ! .

فالبعض يرى أن تعريف الدين تعريفاً اصطلاحياً أمر صعب جداً ، وذلك لأن الدين ـ فى نظر هؤلاء ـ ماهو إلا صلة شخصية بين الإنسان العابد . والإله المعبود الذى يرى فيه العابد الذات التى تملك نفعه وضره . والتى إليها مصير أمره فى العاجل والآجل فلا يدرك قيمة هذه الصلة . أو التعبير عنها إلا صاحبها فقط ـ إن استطاع التعبير عنها ـ (١) .

وبالتالى إذا كان الدين على هذا النحو . فإنه غير مدرك إلا للعبد المتصل ذاته ولا يدركه معه سواه . فالدين أحاسيس خاصة بكل متدين .

ومن هنا لايمكن تعريف الدين . لأن المعرِّف لايستطيع أن يصل إلى إحساسات كل المتدينين حتى يتمكن من جمع خصائصها تحت تعريف جامع مانع .

الملاحظ على هذا الإتجاه :-

يلاحظ على أصحاب هذا الاتجاه : أنهم يجعلون الدين عبارة عن أحاسيس خاصة بكل متدين . مع أن الدين ـ فى معناه الشامل الذى ينبغى أن ينتبه إليه ـ عقيدة يعتقدها المتدين فى الإله الذى يدين له ويؤمن به . كما أنه شريعة تنظم علاقة المتدين بإلهه . وعلاقته ببنى جنسه. وعلاقته بالكائنات

---

(١) قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ـ الله ذاتاً وموضوعاً : عبد الكريم الخطيب صـ ٢١ ط ٣ دار المعرفة بيروت ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م .

من حوله . وهذه العقيدة وتلك الشريعة مصدرهما ـ الإله . وليس الأحاسيس يضاف إلى ذلك : أن الأحاسيس تأتى مترتبة على العقيدة والشريعة وفى إطارهما الموضوعى ممثلة فى جوانب الرغبة والرهبة .

كما أن هذه الأحاسيس تتفاوت من شخص لآخر . وبحسب تأثير الدين .

وهناك أمر جد خطير : وهو القول بأن الدين أحاسيس شخصية لايدركها إلا الشخص نفسه . وتتمثل خطورة هذا القول فى أنه قد يوحى بأن الدين أمر ذاتى. يجعل لكل واحد من الناس ديناً خاصاً به تبعاً لمشاعره وأحاسيسه لأن هذه المشاعر والأحاسيس هى التى تحسم الأمر من البداية . وهذا يفضى إلى النسبية والاختلاف .

ويفهم من هذه الملحوظات : ـ أنه متى كان الدين شيئاً موضوعياً. فإنه يجعل فى الإمكان تعريفه . ولو تعريفاً تقريبياً يحدد مستوياته (١) .

ولهذا حاول البعض الآخر من الباحثين تعريف الدين تعريفاً اصطلاحياً وجاء تعريف كل منهم مبايناً لغيره. تبعاً لتباين وجهات النظر عند كل باحث

. ويرجع سبب هذا التباين إلى تباينهم فى المراد بالدين ! !

هل هو الدين الصحيح ؟ أو يدخل فيه غيره ؟

ولذا جاءت وجهات نظر الباحثين فى تعريف الدين فى اتجاهات : ـ

الاتجاه الأول : ـ تعريف الدين عند العلماء المسلمين ـ اتجاه المضيقين ـ :

هذا الاتجاه يطلق مصطلح ـ الدين ـ ويقصد به : الدين الصحيح الذى

---

(١) الدين : د محمود بركات صـ ٤٦ .

يرجع فى كل متعلقاته إلى الوحى الإلهى الذى أنزل على الرسل المؤيدين بالمعجزات (١) ومن أشهر التعريفات للدين فى هذا الإتجاه التعريف القائل:

الدين [وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح فى الحال . والفلاح فى المآل - ويمكن تلخيصه بأن نقول :الدين - وضع إلهى يرشد إلى الحق فى الاعتقادات . وإلى الخير فى السلوك والمعاملات (٢) -

الملاحظ على هذا التعريف :-

يلاحظ على هذا التعريف أنه حصر مفهوم الدين فى الدين السماوى الموحى به من الله تعالى . مع أن القرآن الكريم أطلق - الدين - على كل ما يتدين به الناس سواء أكان دينا سماوياً .أم غير سماوى . فأطلق لفظ الدين على ما يدين به وما يعتقده الكفار . وهو دين فاسد لايمت إلى وحى السماء بأدنى صلة . كما فى قوله تعالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٣) - فسمى ماعليه مشركوا العرب ديناً مع أنه وثن . وقوله - ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (٤)

وقد يكون هذا التعبير القرآنى الكريم عن ما يعتقده المشركون - ديناً - من باب المشاكلة اللفظية . كما فى قوله تعالى - ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٥) .

---

(١) يدخل فى هذا : جميع رسالات الله تعالى فى جوهرها الصحيح المنزه عن التحريف والتبديل . أما الرسالات التى دخلها التحريف والتبديل فلا تدخل فى هذا النطاق . وعلى هذا فالمراد هنا هو الدين الإسلامى الذى أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ .

(٢) الدين د : دراز صـ ٢٩ .

(٣) سورة الكافرون آية ٦ .

(٤) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٥) سورة آل عمران آية ٥٤ .

ومع تعبير القرآن الكريم عن معتقدات المشركين بالدين . فقد قرر في شأن الدين ضوابط حددت للدين الصحيح معنىً شرعياً . يقول في ذلك الشيخ مصطفى عبد الرازق يرحمه الله : - ولئن كان القرآن الكريم قد استعمل لفظ - دين - بهذا المعنى الشامل . كما يدل عليه تسمية نحل المشركين أدياناً في قوله تعالى - ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ - فإن القرآن قرر في أمر الدين أصولاً جعلت للدين معنى شرعياً - خاصاً - فالدين لايكون إلا وحياً . إلهياً من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من عباده ويرسلهم أئمة يهدون بأمر الله (١) .

وهذا الدين الإلهي الصحيح واحد لايتعدد ولا يجمع . فلا يقال أديان إلهية صحيحة وجدت في زمن كذا . أو بيئة كذا . وإنما هو دين واحد جاء به رسل كرام في زمن واحد أو أزمان متباعدة أو بيئة واحدة أو بيئات متباعدة (٢) .

كما أن هذا الدين الإلهي الصحيح نظام كامل يشمل الفرد والأسرة والمجتمع . ينظم علاقة كل منها بالآخرين .

وهكذا نجد أن هذا الاتجاه في تعريف الدين . يقصره على ماكان وحيا إلهياً إلى الرسل الكرام عبر الزمان متعاقين أو متعاصرين . والذين بدأهم الله تعالى بآدم أو نوح (٣) عليهما السلام . وختموا بسيدنا محمد ﷺ .

وهذا الدين هو المراد بالهدى الذى نبه الله إليه آدم عليه السلام عندما أهبطه إلى الأرض - ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعضٍ عدوٌ فإمّا يأتينكم

---

(١) الدين والوحي والاسلام للشيخ مصطفى عبد الرازق صـ ٢٥ ط الحلبي بمصر بدون تاريخ

(٢) كما هو حال الرسالات السماوية قبل الإسلام كرسالة إبراهيم ولوط واسماعيل ورسالة موسى وهارون ورسالة عيسى ويحيى صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين

(٣) على خلاف بين العلماء في ذلك .

مِنّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (١) .

الاتجاه الثاني : اتجاه المتوسعين في مفهوم الدين :-

يرى أنصار هذا الاتجاه إطلاق - الدين - على كل ما يدين به الإنسان سواء أكان ديناً إلهياً . أم وضعياً . ويرون أن الاتجاه الأول أسرف في تحديد الدين بالدين الإلهي فقط وإخراج ماعداه . مع أن القرآن الكريم سماه ديناً كما في قوله تعالى - ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ -

وفي هذا المجال يقول صاحب كتاب الدين (٢) عن نظرة الاتجاه الأول في تضييق مفهوم الدين : إنها - قد جاوزت الحد في التحديد حتى حصرت مسمى الدين في نطاق الأديان الصحيحة . المستندة إلى الوحي السماوي . وهي التي تتخذ معبوداً واحداً . هو الخالق المهيمن على كل شئ .

فالديانة الطبيعية المستندة إلى محض العقل .

والديانات الخرافية التي هي وليدة الخيالات والأوهام .

وكل ديانة تقوم هي أو جانب منها على عبادة التماثيل . أو عبادة الحيوان . أو النبات . أو الكواكب . أو الجن . أو الملائكة ...... الخ تخرج بمقتضى هذا التعريف عن أن تكون ديناً . مع أن القرآن قد سماها كذلك حيث يقول - ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (٣) - ويقول - ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة طه آية ١٢٣ - ١٢٤ .
(٢) د : محمد عبد الله دراز صـ ٣٢ .
(٣) سورة آل عمران آية ٨٥ .
(٤) سورة الكافرون آية ٦ .

الإتجاه الثالث :ـ تعريف الدين عند الغربيين :ـ

تباينت تعريفات الغربيين للدين تبايناً كبيراً جداً . تبعاً لظروفهم الدينية والثقافية والتربوية والاجتماعية والسياسية . ومن أشهر هذه التعريفات :

١ :ـ تعريفات يغلب عليها الجانب الديني والأخلاقي ومنها :ـ

تعريف سيسرون . الدين هو الرباط الذى يصل الإنسان بالله ـ

وتعريف كانت : الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية ـ

وتعريف الأب شاتل :الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق . واجبات الإنسان نحو الله. وواجباته نحو الجماعة.وواجباته نحو نفسه ـ

ومثله تعريف ميشيل مايير فى كتابه تعاليم خلقية ودينية (١) .

وبالتأمل فى هذه التعريفات وما يدور فى معناها نجد أنها :

لم تفرق بين الدين الصحيح والدين غير الصحيح .

لم تبين محتوى الواجبات الدينية أو الأوامر الإلهية .

تتجاهل جانب النبوة أو الرسالة .

هذه التعريفات لم تكن جامعة لألوان التدين المحرفة أو الوضعية .

٢ ـ تعريفات يغلب عليها الجانب الإجتماعي . ومنها :ـ

تعريف جويود : الديانة هى تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة

---

(١) الدين د / محمد عبد الله دراز صـ ٢٩ ، وكتاب علم الاجتماع الدينى أحمد الخشاب صـ ٣٩ وما بعدها ط دار الحمامصى سنة ١٩٦٤م .

الإنسانية والشعور الديني هو الشعور بتبعيتنا لشيئات أخرى يركزها الإنسان البدائي في الكون ـ

وتعريف أميل دوركايم : الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة ....تَضُمُّ أتباعَهَا في وحدة معنوية تسمى الملة (١).

وبالنظر في هذين التعريفين وأمثالهما . نجد أنها تحذف جانب الألوهية من التعريف . مع أن هذا الجانب هو الأساس في التدين . كما أنها تعتبر الدين عادة اجتماعية مثل أي عادة أخرى . على حد قول جروف لقد تقدم الدين والمدنية في سبيل الرقي جنباً إلى جنب فالدين من هذه الوجهة يشبه غيره من الأوضاع الاجتماعية ـ ويقول ـ الدين كغيره من الاوضاع الاجتماعية الأخرى يدل على طور الرقي الذي بلغه الشعب (٢) .

٣ : ـ تعريفات يغلب عليها الجانب التأملي أو الفلسفي . ومنها

تعريف روبرت سبنسر . الدين هو : الإيمان بقوة لايمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية ـ وهذا هو العنصر الرئيسي في الدين ـ على حد زعمه ـ

وتعريف ماكس ميلر : الدين هو محاولة تصور مالايمكن تصوره .

والتعبير عما لايمكن التعبير عنه . هو التطلع إلى اللانهائي . هو حب الله ـ (٣) .

وتعريف رودلف أيوكن : الدين هو التجربة الصوفية التي يجاوز الإنسان فيها متناقضات الحياة .

---

(١) السابقان نفسهما .

(٢) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء : د رؤوف شلبي صـ ٤١ ط دار التوحيد بالقاهرة ١٩٨٥م .

(٣) الدين . دراز صـ ٣٠ .

وفى هذا الاتجاه عرف الدين بأنه : التأمل الصامت . والسيطرة التامة على البدن لنيل السكينة النفسية. والوصول إلى جوهر النفس المطلق اللامحدود (١) .

ويلاحظ على هذه التعريفات وأمثالها أنها تجعل مفهوم الدين فى إطار فلسفى يُحَوِّلُ الدين إلى جانب من الوهم أو الخيال .

كما أنها تعبر عن العام - الدين - بالخاص - التصوف -

كما أنها قاصرة عن التعبير عن الدين بمفهومه العام الشامل وتحاول فرض مالايقبله العقل على العقل المكلف بهذا الدين .

يضاف إلى ذلك ما قاله الدكتور دراز عن تعريف روبرت سبنسر : هذه اللانهائية إن صح أنها عقيدة كبار الفلاسفة والعلماء . لا تنطبق بحال على عقيدة المشبهين . ولا المجسمين . ولا القائلين بأن ربهم فى السماء . ونحن لانطلب تحديد الدين الصحيح فحسب . بل الدين من حيث هو . فى مختلف صوره ومظاهره –

ويقول عن تعريف - ماكس ميلر : – هذه العبارة لاتنطبق فى حرفيتها إلا على نوع من الأديان يفصل بين العقيدة والعقل فصلاً تاماً . ويفرض على معتنقيه أن يؤمنوا بما لاتقبله عقولهم . ولا تتصوره أذهانهم - (٢) .

وهكذا يظهر الدين فى مفهوم الغربيين فى ثوب مهلهل مشوه مقطع الأوصال . كل تعريف منها على حدة يشهد بنقص فى نفسه . وفى كل

---

(١) الإسلام بين الأديان د محمد كمال جعفر صـ ٢٠ - ٢٢ ط مكتبة دار العلوم بالقاهرة ١٩٧٧م .

(٢) الدين صـ ٢٣ .

تعريف سواه .

وتشهد كل هذه التعريفات مجتمعة بأنها ليست عرضاً تاماً ولا أميناً . أو وصفاً دقيقاً . أو شرحاً وافيا لحقيقة الدين - أى دين -

كما أن هذه التعريفات تنظر إلى مفهوم الدين كل من زاوية تخصصه وثقافته وبيئة .

وهى زوايا محدودة. ومفهوم الدين أوسع وأشمل من نظرتها إليه .

وهذا الفهم الغربى للدين . ماهو إلا نتيجة للثقافة الأوربية . والفكر الأوربى المضطرب .

فى القديم بسبب حجر محاكم التفتيش على العقول والأفكار .

وفى الحديث بسبب طغيان الجانب المادى على كل شئون الحياة البشرية.

مما كان له آثاره السيئة على الإنسان في أوربا خاصة . ثم الإنسان فى كل أنحاء العالم عامة .

التعريف الأقرب إلى الصواب :ـ

بعد أن استعرضنا كثيراً من التعريفات حول الدين . وبينا مافيها من مآخذ نحاول مجتهدين ـ وضع تعريف للدين يكون أقرب إلى الصواب إن شاء الله تعالى .

فنقول :ـ

الدين : هو اعتقاد قداسة ذات أوذوات لها كل صفات الكمال والجلال المطلق (١) .
مع الخضوع التام لتلك الذات أو الذوات فى كل شئ (٢) . تذللا وحبا . رغبة ورهبة .

فنرى أن هذا التعريف أقرب إلى الصواب لأنه جامع مانع .

فهو جامع لكل الأديان حيث نرى فيه :ـ

شمولاً للمعبود سواء أكان معبوداً حقاً ـ وهو الله عز وجل ـ أم معبوداً باطلاً ـ وهو كل معبود غير الله عز وجل ـ

وشمولاً لكل العبادات النظرية والعملية ـ العقيدة والشريعة ـ التى يتعبد بها العباد لمعبوداتهم . سواء أكانت عبادات سماوية صحيحة كما فى الإسلام . أم عبادات لها أصل سماوى ودخلها التحريف . كما فى اليهودية والنصرانية . أم عبادات وضعية . كما فى الهندوكية والبوذية وغيرهما .

ثم إن هذا التعريف يبرز حال العابد . إذ لابد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع للمعبود تذللاً إليه وحباً فيه وهذا هو أهم معانى العبادة . أو التدين .

كما أن هذا التعريف يبين هدف العابد من العبادة . وهو إما رغبة إلى المعبود . وإما رهبة منه . وإما رغبة ورهبة معاً .

---

(١) حسبما يعتقد العابد .

(٢) بحسب درجة قداستها فى نفس العابد .

المبحث السادس

المبحث السادس

علاقة الدين بالملة والنحلة والمذاهب

أولاً :- الملة :

الملة فى اللغة تعنى : الطريقة المسلوكة . ومنه :ملة إبراهيم خير الملل .

ويقال : امتل فلان ملة الإسلام .- أى اعتنقها وسلكها .

ويقال : إنها من التكرار كما فى قولهم : طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى تمهد وتوطأ . وقيل هى اسم لجملة من الشرائع (١) .

ويمكن الجمع بين هذا كله : أن الملة جملة من الشرائع يتخذها الإنسان طريقاً مسلوكاً دائماً .

وهذه الشرائع قد تكون حقاً . أو باطلاً . لأنها :-

أولاً : تطلق على شريعة الكفار والمعاندين . كما فى قوله تعالى - حكاية عن أصحاب الكهف - ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ (٢)

وقوله تعالى -﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣).

ثانياً : - تطلق على الشريعة الحقة الصحيحة - ملة إبراهيم حنيفاً - كما فى قوله تعالى - ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (٤) - ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (٥) .

---

(١) أساس البلاغة للزمخشرى صـ ٤٣٦ وتفسير النسفى جـ ١ صـ ٧٥ والمعجم الوسيط جـ ٢ صـ ٨٨٧ .

(٢) سورة الكهف آية ٢٠

(٣) سورة إبراهيم الآية ١٣

(٤) سورة النحل آية ١٢٣

(٥) سورة الأنعام آية ١٦١

ثالثاً : - تطلق على الشريعة الفاسدة والشريعة الحقة معاً : كما فى قوله سبحانه - ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (١) .

الملة فى الإصطلاح : يخص الشهرستانى الملة بما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام .

فهى فى رأيه تختص بمن له كتاب سماوى . كالمسلمين والنصارى واليهود . أو من له شبهة كتاب كالمجوس والمانوية . وفى هذا يقول :

ولما كان نوع الإنسان محتاجاً إلى اجتماع مع آخر من بنى جنسه فى إقامة معاشه . والاستعداد لمعاده .

وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون . حتى يحفظ بالتمانع ماهو أهله . ويحصل بالتعاون ماليس له .

فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هى الملة .

والطريق الخاص الذى يوصل إلى هذه الهيئة . هو المنهاج والشرعة والسنة . والاتفاق على تلك السنة هى الجماعة . قال الله تعالى - ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٢) - ولن يتصور وضع الملة . وشرع الشرعة إلا بواضع شارع يكون مخصوصاً من عند الله بآيات تدل على صدقه . وربما تكون الآية مضمنة فى نفس الدعوى . وقد تكون ملازمة وربما تكون متأخرة .

---

(١) سورة يوسف آية ٣٧ - ٣٨ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٨ .

ثم اعلم أن الملة الكبرى هى ملة إبراهيم الخليل عليه السلام . وهى الحنيفية التى تُقَابِلُ الصبوة (١) تقَابُل التضاد (٢) . قال الله تعالى ـ ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٣) .

الفرق بين الملة والدين :-

يفرق بين الملة والدين من ناحيتين :

الأولى : أنها تضاف إلى النبى الذى تستند إليه . أو إلى جماعة من الناس . نحو ـ ﴿ واتَّبعتُ مِلَّةَ آبائي إبْرَاهِيمَ وإسْحَاقَ ويَعْقُوبَ ﴾ (٤) ـ ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٥) ـ ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (٦) ـ ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ (٧) ـ ﴿ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ (٨) .

ولا توجد مضافة إلى الله تعالى . ولا إلى آحاد الناس . فلا يقال : ملة الله . ولا ملة زيد .

أما الدين : فيضاف إلى الله تعالى باعتبار أنه مصدره الآمر به . وهو الديان القاهر فوق عباده . فيقال : دين الله .

ويضاف إلى النبى الذى أرسل به . فيقال : دين محمد أو موسى أو عيسى ، كما يضاف إلى من يعتنقه ويؤمن به . من أمة . أو آحاد الناس . فيقال : دين المسلمين : الإسلام . ودين زيد . الإسلام .

---

(١) المراد بها هنا : الميل عن الحق .
(٢) الملل والنحل جـ ١ صـ ٣٨ .
(٣) سورة الحج أية ٧٨ .
(٤) سورة يوسف من الآية ٣٨ .
(٥) سورة الحج أية ٧٨ .
(٦) سورة النحل من الآية ١٢٣ .
(٧) سورة إبراهيم من الآية ١٣
(٨) سورة الكهف من الآية : ٢٠ .

الناحية الثانية : ـ أن الملة تطلق على جملة الشرائع . لا على آحادها .

فيقال عن أحكام التوراة : ملة موسى . وعن أحكام الإنجيل : ملة عيسى.

وعن أحكام الإسلام : ملة الإسلام . ولا يقال :ملة الصلاة . ولا ملة الزكاة ... الخ . لأنها لاتعبر عن جملة الشريعة .

أما الدين فيطلق على جملة الشريعة . وعلى آحادها . فيقال : دين الإسلام . ودين الصلاة .

وقد رأينا بعض علماء المسلمين يسوون بين الدين والملة مع ماقد يكون بينهما من فروق . مكتفين برسم الفرق بين الدين والملة ، من جانب . والهوى والنحلة من جانب آخر .

ومن أمثال هؤلاء العلماء . العلامة الشهر ستانى الذى يقسم الناس إلى ذوى ديانات وملل . وذوى أهواء ونحل (١) .

ومن تسوية الشهر ستانى بين الملة والدين ، يتبين أنه قصرها على الملة الصحيحة فقط . وهذا الاتجاه مرجوح باستعمال القرآن الكريم الملة فى الشرائع الصحيحة والفاسدة .

فالملة بناءً على إطلاقها الشامل فى القرآن الكريم . تعتبر من الألفاظ المشتركة وتكون القرينة أو سياق الكلام هو المحدد للمعنى المراد .

---

(١) الملل والنحل للشهر ستانى جـ ١ صـ ٣٦ .

ثانياً: النحلة:

تطلق النحلة في اللغة ويراد بها الدعوى . يقال : فلان ينتحل هذا الشئ . أى يدعيه . ومنه ـ انتحال الشخصية ـ

فكأن هذا اللفظ يعبر عن النسبة الباطلة .

جاء في لسان العرب قول قتادة بن النعمان :

كان بشير بن أبيرق يقول الشعر . ويهجو به النبى ﷺ ..

وينحله بعضهم . أى ينسبه إليهم . من النحلة. وهى النسبة بالباطل (١).

وهى نسبة ضعيفة هشة هزيلة .

كما فى قول القائل : نحل جسمه نحولاً . وأنحله المرض . إذا صار ضعيفاً .

وتطلق النحلة أيضاً ويراد بها العطية بلا عوض . يقال : نحل ولده مالاً . إذا وهبه على وجه خاص . لضعفه وفاقته . قال الراغب الأصفهانى : النحلة ـ بفتح النون المشددة وبكسرها ـ هى العطية على سبيل التبرع . وهو أخص من الهبة . إذ كل هبة نحلة . وليس كله نحلة هبة . كما فى حديث النعمان بن بشير : إنى نحلت ولدى نحلة (٢) .

وتطلق النحلة ويراد بها العطية بعوض . كما فى قوله تعالى ـ ﴿ وآتوا النساء صدُقاتهن نحلةً ﴾ (٣) والصداق به يستباح الاستمتاع .فهو كالعوض . وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما : النحلة . المهر .

---

(١) صـ ٤٣٦٠ مادة نحل ط دار المعارف بمصر .

(٢) مفردات الراغب مادة وهب

(٣) سورة النساء آية ٤ .

وتطلق النحلة أيضاً . ويراد بها الديانة أو المذاهب . أو هى ماينتسب إليه المرء من دين أو مذهب .

وهذا المعنى هو المتداول فى دراسة الملل والنحل تقريباً .

وقد وضع الغربيون تعريفاً للنحلة اصطلاحاً فقالوا : النحلة يراد بها مجموعة العقائد والعبادات والشعائر التى تخص شخصاً معيناً أو مجموعة أشخاص معينين (١) .

ولكنهم أخطئوا حين سحبوا هذا التعريف على الإسلام الحنيف بقولهم : نحلة الإسلام . لأن النحلة من مواصفاتها : الشخص الواحد . أو الجماعة الواحدة . فهى نظام خاص لايصح أن ينسحب على الجميع .

وبالتالى لايجوز لهذا الشخص أو لتلك الجماعة أن ترفع عصاها على رؤوس الناس عامة لتفرض هذه النحلة الخاصة .

وإن كان يحق لمنتحليها الدعوة إليها ونشرها بكل السبل والوسائل المتاحة لهم .

ويقصد الغربيون بمصطلح - النحله - وتطبيقه على الإسلام . إفساح المجال لأقلامهم المسمومة فى مهاجمة الإسلام فى تشريعه للقتال كوسيلة دعوية فى ظروف محددة .

ومعروف أن الإسلام دين الله تعالى للناس كافة . فهو إذاً ليس نحلة بالمفهوم الغربى لمفهوم النحلة .

---

(١) يا أهل الكتاب تعالوا صـ ٦٧

فالنحلة إذاً :

تعبير عن إلحاق فرد او جماعة بعقيدة معينة . سواء أكانت هذه العقيدة دينية أم غير دينية . وسواء أكانت صحيحة أم باطلة .

وهى بهذا من قبيل الهوى المتبع. والهوى المتبع بغير هدىً من الله ضلال مبين.

﴿ ومَنْ أَضلُّ ممَّن اتبع هواهُ بغيْر هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ (١) .

ولقد سمى الله تعالى نحل الكافرين ومللهم جميعاً هوىً . ونمها كلها فى قوله سبحانه : ـ

﴿ ولا تَتَّبِعْ أَهْواءهم عمَّا جاءكَ منَ الْحَقِّ ﴾ (٢) .

﴿ وأَنِ احكُم بيْنهم بما أنزل اللَّهُ ولا تَتَّبِعْ أهْوَاءَهُمْ ﴾ (٣) .

﴿ ولَوِ اتَّبع الْحقُّ أهواءهُمْ لفسدت السَّمواتُ والأَرْضُ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة القصص من الآية ٥٠ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٤٨ .

(٣) سورة المائدة من الآية ٤٩ .

(٤) سورة المؤمنون آية ٧١ .

ثالثاً : المذهب

المذهب يعني الطريقة . والمعتقد الذي يذهب إليه . يقال : ذهب مذهباً حسناً أو سيئاً .

والمذهب قد يستند إلى دليل شرعي سواء أكان في الأصول . مثل مذهب المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ... الخ .

أم كان في الفروع. مثل المذهب الحنفي أو المالكي أو الشافعي أو الحنبلي ... الخ .

فهذه المذاهب تستند إلى أدلة شرعية . حريصة على تدعيم ما تذهب إليه بالنصوص الشرعية في الكتاب أو السنه . أو هما معاً .

وقد لايستند المذهب إلى أدلة شرعية . مثل المذاهب الإلحادية : ـ

المذهب الشيوعي . والبرجماتي . والوجودي . فهذه المذاهب ليس لها دليل شرعي . بل عمادها الهوى .

خلاصة القول : في الدين . والملة . والنحلة . والمذهب : ـ

الدين ـ خاصة الصحيح ـ وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ماعند الرسول ﷺ .

والدين والملة متحدان بالذات . ومختلفان بالاعتبار .

فالشريعة من حيث إنها تطاع تسمى ديناً . ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة . ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهباً .

وقيل : الفرق بين الدين والملة والمذهب :

إن الدين منسوب إلى الله تعالى .

والملة منسوبة إلى الرسول ﷺ .

والمذهب منسوب إلى المجتهد . (١) .

والنحلة ماينتسب إليه بالباطل .

---

(١) التعريفات للجرجاني صـ ٩٤ ط الحلبي بمصر . بدون تاريخ .

المبحث السابع

المبحث السابع

أهمية الدين في حياة الإنسان :-

إن الدين بالغ الأهمية في حياة الإنسان - فرداً أو مجتمعاً - فلا يمكن أن تستقيم حياة الإنسان من غير تدين يملأ النفس البشرية بالأمن والسكينة والطمأنينة .

ويؤكد ذلك مايعانيه الإنسان المعاصر في كثير من أنحاء العالم المعمور - من تمزق نفسي بسبب الخواء الروحي والجدب العاطفي . الأمر الذى يجعله كالمعلق بين السماء والأرض . لايستطيع الركون إلى أيهما . فلا أساس يركن إليه . ولا إيمان يمده بالأمان والاطمئنان .

أهمية الدين للفرد :- إن الله تعالى خلق الإنسان وفضله على غيره من الكائنات بأمور كثيرة . من أهمها :- أن جعله كائناً متديناً . وهذا التدين - خاصة دين التوحيد الخالص لإله واحد - له بالغ الأهمية في حياة الفرد . لأنه يقوى في الإنسان كل جوانبه :الفكرية . والوجدانية . والإرادية .

فالدين عنصر ضرورى لتكميل القوة النظرية في الإنسان . ففيه وحده يجد العقل مايشبع نهمته . ومن دونه لايحقق مطامحه العليا - (١) .

وما ذلك إلا .لأن الدين يحترم العقل . ويخاطبه في تشريعاته وعقائده . ويترك له ميداناً فسيحاً يعبر فيه عن ذاته . كما في الاجتهاد والاستحسان والمصالح المرسلة ... الخ ولا عجب في ذلك . فالعقل مناط التكليف للإنسان ! !

---

(١) الدين : دراز صـ ١٠٠

وكما أن الدين عنصر ضرورى لتكميل القوة النظرية فى الإنسان . فهو كذلك أيضاً ـ لتكميل قوة الوجدان . فالعواطف النبيلة من : الحب . والشوق. والشكر . والتواضع . والحياء . والأمل وغيرها . إذا لم تجد ضالتها المنشودة فى الأشياء ولا فى الناس . وإذا جفت ينابيعها فى هذا العالم المتبدل المتبدد . وجدت فى موضوع الدين مجالاً لاتدرك غايته . ومنهلاً لاينفد معينه (١) .

ولما كان للدين هذه الأهمية لتكميل القوة النظرية والوجدانية فى الإنسان. كان أيضاً عنصراً ضرورياً ـ لتكميل قوة الإرادة يمدها بأعظم البواعث والدوافع . ويدرِّعها بأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس والقنوط ـ (٢) وما يترتب عليهما من قلق نفسى يدمر الحياة . ويمزق النفوس . ويسقم الإنسان نفسياً وبدنياً .

وقد أشار إلى هذا كله . العالم النفسانى ـ هنرى لنك ـ الذى أجرى هو ومعاونوه عشرات الآلاف من التجارب النفسية على نحو عشرة آلاف شخص تلبية لطلب مؤسسة كارنيجى التى وضعت بين يديه مائتى ألف دولار . وقد خرج من تجاربه بهذه النتيجة : ـ سجلت تقريراً شخصياً كاملاً شاملاً لكل فرد منهم . وهنا بدأ إدراكى لأهمية العقيدة الدينية بالنسبة لحياة الإنسان . ووجدت من نفسى استعداداً لمضاهاة تجاربى السابقة على مرضاى . بالنتائج الباهرة التى تمت بها تلك الاختبارات العظيمة التى توليت الإشراف عليها .

---

(١) السابق صـ ١٠٠ .

(٢) السابق صـ ١٠٠ .

وقد استخلصت من هذه الاختبارات نتيجة هامة ـ ولو أنها لم تنشر فى التقرير النهائى ـ وهذه النتيجة هى : أن كل من يعتنق ديناً . أو يتردد على دار للعبادة يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لادين له . أو لايزاول أى عبادة (١) .

أليس هذا مصداقاً لما قرره القرآن الكريم حيث يقول ـ

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٢) ـ

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (٣) .

وهذا كله يؤكد

ـ أن المؤمنين وحدهم هم الذين تمتلئ نفوسهم بالأمن والسكينة والطمأنينة .

ـ وهم الذين لايمكن أن يتسرب اليأس أو القلق إلى نفوسهم ـ ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٤) ـ

ـ وهم الذين تمتلئ نفوسهم بالثقة والأمل الذى يجعلهم . يحبون الحياة والأحياء . ويعملون من أجل خيرهم وخير غيرهم . إيماناً منهم بأن الله لايضيع أجر من أحسن عملاً .

ـ وهم الذين يمتد معهم الأمل إلى ما شاء الله بلا حدود . ما دام هناك

---

(١) العودة إلى الإيمان . للدكتور هنرى لنك . تعريب ثروت عكاشة صـ ٣٦ ط دار المعارف بمصر ١٩٥٩م وإن الدين عند الله الاسلام : على عبد العظيم صـ ٣٨ ـ ٣٩ ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف سنه ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١م .

(٢) سورة الرعد آية ٢٨ .

(٣) سورة الفتح آية ٤ .

(٤) سورة يوسف آية ٨٧ .

مقدرة على البذل والعطاء فيما يعود بالخير على الفرد والمجتمع . ويعبر عن ذلك قول النبى ﷺ - إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل (١) ولولا الأمل ما أرضعت أم ولداً. ولا غرس غارس شجراً (٢) .

أهمية الدين للمجتمع :-

إذا كان الدين له بالغ الأهمية للفرد . فهو للمجتمع أشد أهمية وضرورة. وذلك لأن الإنسان إذا كان كائناً متديناً . فهو أيضاً كائن اجتماعى لا يمكن أن يعيش بمفرده بعيداً عن بنى جنسه .

إذاً . فهو محتاج إلى غيره من بنى جنسه لاستكمال مابه يحيا وتحقيق ما به يعيش . ومن هنا : تظهر ضرورة اجتماع الناس وتعاونهم فيما بينهم . وضرورة انضوائهم تحت راية ودول ومجتمعات أو قبائل وشعوب .

ـــــ ﴿ يا أيها النّاس إنّا خلقناكم مّن ذكرٍ وأنثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ... ﴾ (٣) .

ومن الأمور المسلم بها :- أن أهواء الناس مختلفة ونزعاتهم متباينة . الأمر الذى يؤدى إلى التعارض والتصادم بين الرغبات . مالم يكن هناك قانون عام يلتزم به الجميع . ومبدأ أساسى يحترمونه . وقاعدة عامة يردون إليها منازعاتهم واختلافاتهم . فلابد إذاً من وازع يردعهم عما لايليق . ويأمرهم بما فيه صلاحهم . وينهاهم عما فيه فسادهم . ويكونون مطيعين له

---

(١) مسند الإمام أحمد

(٢) فيض القدير جـ ٢ صـ ٥٥٩

(٣) سورة الحجرات آية ١٣

فى أوامره وفى نواهيه . بناء على ماله من سلطان نازع وازع . يكفل مهابته فى النفوس . ويمنع انتهاك حرماته . ويتمثل هذا السلطان فى - الدين . أو التدين - الذى لايوجد على ظهر الأرض قوة تساويه . أو تدانيه فى كفالة احترام الأفراد أو المجتمعات بعضهم لبعض . وكذلك فى ضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه .

وهذا كله يتحقق فى ظلال الدين . لأن الدين قوة أقوى سلطاناً من قوة التشريعات الوضعية . وأكبر من قوة العصبية الجنسية أو القبلية أو الوطنية أو القومية . وأعظم من قوة الأعراف والتقاليد مهما كان سلطانها . إذ كل قوة من هذه القوى ماهى إلا وليدة انفعال عاطفى . أو إرغام مادى . ولا تربط الإنسان إلا بفئة معينة. ولا يستجاب لها إلا خوفاً من سلطان الحاكم . أو انتظاراً لنفع قريب . فى حين أن الدين ينبعث من الضمير . ويعبر عن علاقة تربط بين الإنسان والوجود كله .

وهذا يؤكد - أن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية . بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شئ لايقع عليه سمعه ولابصره . ولا يوضع فى يده . ولا عنقه . ولا يجرى فى دمه . ولا يسرى فى عضلاته وأعصابه . وإنما هو معنى إنسانى روحانى . اسمه الفكرة أو العقيدة - صحيحة أو فاسدة - م فالإنسان مقود أبداً بفكرة صحيحة أو فاسدة . فإذا صلحت عقيدته صلح فيه كل شئ . وإذا فسدت عقيدته . فسد فيه كل شئ (١)

---

(١) الدين . دراز صـ ١٠١

من أجل ذلك كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة والنصفة . وكان لذلك ضرورة اجتماعية . كما هو فطرة إنسانية (١).

وقد أكد هذه الحقيقة الكثيرون من رجال العلم والسياسة والحرب الغربيين . يقول روبرت ميلليكان ـ العالم الطبيعى الأمريكى : ـ إن أهم أمر فى الحياة . هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق . ولقد كان زوال هذا الإيمان سبباً للحرب العامة . وإذا لم نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة . بل يصير العلم نكبة على البشرية ـ (٢) .

ويقول الدكتور ويلسون الرئيسى الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية :

ـ وخلاصة المسألة أن حضارتنا إن لم تنقد بالمعنويات فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها . وأنها لايمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الدينى فى جميع مسامها ... ذلك هو الأمر الذى يجب أن تتنافس فيه معابدنا ومنظماتنا السياسية . وأصحاب رؤوس أموالنا . وكل فرد خائف من الله محب لبلده (٣) .

ويقول المارشال مونتجمرى فى خطبته أمام الجيش الثامن يوم ٤ مارس ١٩٥١م إن أهم عوامل الانتصار فى الحرب هو العامل الأخلاقى . ولا يمكن لقائد أن يدفع جنوده إلى بذل أقصى جهودهم فى العمل إلا إذا كانت ضمائرهم مرتاحة إلى مايعملونه . ويقينى أن الجيش إذا سار على غير

---

(١) الدين دراز صـ ١٠٢

(٢) (٣) الدين والعلم للمشير أحمد عزت باشا صـ ١٧٣ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٨م

مرضاة الله سار على غير هدى ...

إن خطر الانحطاط الخلقى فى أفراد الجيش أعظم من خطر العدو .

ولذلك لانستطيع أن ننتصر فى معركة إلا إذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شئ (١)

وهذا كله يؤكد مدى أهمية الدين ـ خاصة الصحيح ـ فى استقامة حياة الإنسان فرداً أو مجتمعاً .

---

(١) عن الصحف المصرية فى ٥ / ٣ / ١٩٥١م وراجع كتاب الدين: دراز صـ ١٠٣ ـ ١٠٤ .

المبحث الثامن

المبحث الثامن :

نشأة الدين :-

إن الدين كقوة روحية تصل الإنسان بقوة غيبية يقدسها ويدين لها بالولاء والطاعة - الدين بهذا المعنى - للباحثين فيه رأيان :

الرأي الأول للباحثين المسلمين : يرون أن نشأة الدين ارتبطت بوجود الإنسان الأول على ظهر الأرض . ويعتقد أصحاب الكتب الدينية المقدسة فى اليهودية والمسيحية والاسلام . أنه آدم أبا البشرية كان متديناً بسماعه الوحى من الله تعالى . حيث أمره بالطيبات ونهاه عن الخبائث . وقد نسى أدم العهد فأكل من الشجرة المنهى عنها . فأهبطه الله تعالى من الجنة إلى الأرض . ليبدأ حياة البشرية على ظهر الأرض مزوداً بهدى الله تعالى ..

الرأي الثانى للباحثين الملحدين يرون أن نشأة الدين ارتبطت بتطور الإنسان. واتفقوا على أن الدين من صنع الإنسان ولا صلة له بقوة غيبية (١) .

وهذا الرأى مبنى على إنكار أصحابه لله عز وجل . وزعمهم أن الإنسان وجد من الطبيعة .

حيث كان أنيميا . ثم تطور بفعل الرطوبة إلى أطوار متعددة حتى صار إلى طور الإنسان فزعموا أن هذا الإنسان كان فى طور الطفولة البشرية

---

(١) العجيب أن يوافق على هذا الرأى . بعض المفكرين المسلمين كالعقاد فى كتابه - الله - صـ ٧ - ٣٤ وعبد الكريم الخطيب فى كتابه - قضية الألوهية بين الفلسفة والدين جـ ٢ صـ ٧٠ - ٩٥ .

يبحث له عن إله يعبده . فتوجه إلى عبادة الآباء والأجداد . والأشجار والحيوانات . والشمس والقمر . وغير ذلك من الأشياء التي يستعظمها في نفسه .

ثم أخذ هذا الإنسان يتطور في عقله وفكره وحسه . فبدأ يتخلى عن كثير من الآلهة التي كان يعبدها حتى توصل في عهد الفراعنة إلى التوحيد الذي يعني عبادة إله واحد هو - رع - الذي يرمز له بقرص الشمس .

وقد تبنى هذا الرأي الفكر الأوربي في القرن ١٨م زاعماً أن الأديان والقوانين ماهي إلا منظمات مستحدثة . وأعراض طارئة على البشرية حتى قال - فولتير - إن الإنسانية لابد أن تكون قد عاشت قروناً متطاولة في حياة مادية خالصة . قوامها : الحرث . والنحت . والبناء . والحدادة والنجارة . قبل أن تفكر في مسائل الدينيات والروحانيات .

بل قال : إن فكرة التأليه إنما اخترعها دهاة ماكرون من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء (١) .

وكذلك كان نظر - جان جاك روسو - إلى فكرة القانون حيث ظن أنها ليس لها إلا قيمة وضعية تحكمية . وفسر ذلك بقوله :

إن الأفراد الذين سبقوا إلى وضع أيديهم على بعض مساحات من الأرض . حدابهم جشعهم وحرصهم على المحافظة على ملكيتهم إلى أن يأتمروا فيما بينهم على وضع تلك النظم والقوانين ليخدعوا بها الجمهور . ويضللوا بها الفقراء - (٢) .

---

(١) الدين : دراز صـ ٨٢

(٢) السابق نفسه .

وهذا الاتجاه الأوربى فى القرن ١٨م. ماهو إلا امتداد للسفسطة اليونانية القديمة التى روجها السوفسطائيون بفلسفتهم القائمة على التشكيك والمغالطات . فقد زعموا أن الإنسان كان فى أول نشأته يعيش بغير رادع من قانون . ولا وازع من خلق .

فهنالك فكر بعض العباقرة فى إقناع الجماهير بأن فى السماء قوة أزلية أبدية ترى كل شئ . وتسمع كل شئ . وتهيمن بحكمتها على كل شئ (١) -

وهكذا لم تكن القوانين والديانات فى تصوير السوفسطائيين إلا ضروباً من السياسة الماهرة التى تهدف إلى علاج أمراض المجتمع .

وقد روّج لهذا الاتجاه السوفسطائى فى أوربا خلال القرن ١٨م عاملان :-

- الأول : الانحلال الخلقى عند نفر من رجال الكنيسة .

الثانى : ظلم القوانين الوضعية . وسوء توزيع الثروة العامة . بسيطرة الأشراف والنبلاء على الأرض . وسيطرة الكنيسة على الفكر والحكم .

ولم ينته القرن ١٨م حتى ثبت خطأ هذا الاتجاه الفولتيرى السوفسطائى.

حيث كثرت الرحلات إلى خارج أوربا . واكتشفت العوائد والعقائد والأساطير المختلفة . وتبين من مقارنتها :- أن التدين لم تخل منه أمة من الأمم فى القديم والحديث . رغم تفاوتهم فى مدارج الرقى . ودركات الهمجية .

كما أنه أقدم من كل حضارة مادية . ولم يقدم على خداع الرؤساء وتضليل الدهاة ، ولم يرتكز على أسباب طارئة أو ظروف خاصة . بل التدين

---

(١) السابق نفسه .

نزعة أصيلة مشتركة بين كل الناس فى كل زمان ومكان . وقد صارت هذه النزعة مادة علمية فى معجم لاروس للقرن العشرين حيث ورد فيه : أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية . وأقربها إلى الحياة الحيوانية . وأن الاهتمام بالمعنى الإلهى وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية .

إن هذه الغريزة الدينية لاتختفى . بل لاتضعف ولا تذبل إلا فى فترات الإسراف فى الحضارة وعند عدد قليل جداً من الأفراد (١) .

ويؤكد الأستاذ محمد فريد وجدى فى دائرة معارفه هذه الظاهرة إذ يقول فى مادة ـ دين ـ : نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين . لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها ... ففطرة التدين ستلاحق الإنسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح . وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه (٢) .

ويقول هنرى برجسون : لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات . ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة ـ (٣) .

فهذا الكلام يؤكد أن الإنسان مخلوق متدين . وأن التدين نزعة فطرية . لايمكن تصور إنسان بدونها مهما كانت صورة ذلك التدين .

وكتب بارتيلمى سانت هيلير : هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا : ما العالم؟ ما الإنسان؟ من أين جاءا؟ من صنعهما؟ من يدبرهما؟ماهدفهما؟

---

(١) الدين صـ ٨٤

(٢) السابق صـ ٨٩

(٣) السابق صـ ٨٥

كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما القانون الذى يجب أن يقود عقولنا فى أثناء عبورنا فى هذه الدنيا ؟ أى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ ...

هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلولاً جيدة أو رديئة مقبولة أو سخيفة . ثابتة أو متحولة .

وقد أكد هذه الحقيقة شاشاوان بقوله : مهما يكن تقدمنا العجيب فى العصر الحاضر ... ومهما يكن اندفاعنا فى هذه الحركة العظيمة للحياة العملية ... فإن عقلنا فى أوقات السكون والهدوء ـ عظاماً كنا أو متواضعين . خياراً كنا أو أشراراً ـ يعود إلى التأمل فى هذه المسائل الأزلية : لم . وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم ؟ وإلى التفكير فى .. حقوقنا وواجباتنا ـ ؟ (١) .

وهذه الأسئلة وأمثالها متصلة اتصالاً مباشراً بالدين . ولايجيب عليها إجابة شافية إلا الدين السماوى الصحيح ـ الاسلام ـ فطرت الله التى فطر الناس عليها . ! !

إذاً : كل ماقرره هؤلاء الفلاسفة أشار إليه القرآن الكريم . وقدم عليه الحجة البالغة حيث قال ـ ﴿ فأقمْ وجْهكَ للدّينِ حنيفًا فِطْرت اللهِ الّتي فطر النّاس عليْها لا تبْديل لخلْقِ اللهِ ذلك الدّينُ القيّمُ ولكنّ أكْثر النّاس لا يعْلمُون ﴾ (٢) .

---

(١) السابق : صـ ٨٤ .
(٢) سورة الروم آية ٣٠ .

وهذه الفطرة السليمة تتجلى صريحة فى الطفل دون تكلف .

وقد تتبع علماء النفس النزعة الدينية عند الأطفال . وسجلوا معالمها بدقة . ولم يختلف أحد منهم فى وجودها . وإن كانوا يختلفون فى صورها المتوالية . وتعليل هذه الصور - (١) .

ويلاحظ من آراء الباحثين جميعاً أنهم يلتقون فى دراساتهم على تقرير عدة حقائق من أهمها : -

١ : - أن الدين فطرة فى النفس البشرية . لاتنفصل عنها .

وإذا كان بعض الملحدين يحاول كبح غرائزه . فإنها لاتلبث أن تظهر فى أوقات المحن والشدائد . وإلى هذا أشار - فلوطار خس - بقوله : قد يكون قيام مدينه بغير أرض تملكها أيسر من قيام دولة بغير دين (٢) - ويقول ماكس نوردوه عن النزعة الدينية : - هذا الإحساس أصيل بجده الإنسان غير المتمدين . كما يجده أعلى الناس تفكيراً . وأعظمهم حدساً . وستبقى الديانات مابقيت الإنسانية . وستتطور بتطورها . وستتجاوب دائماً مع درجة الثقافة العقلية التى تبلغها الجماعة (٣) .

وإذا كان بعض الباحثين يزعم أن قيام دولة لادينية أمر عملى . فإن - الفيلسوف الفرنسي فولتير - يرى أن أى ملحد إذا عين حاكماً على ستمائة فلاح فإنه يبشر بينهم فى الحال بالعقاب الدينى -

---

(١) راجع : تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق : د عبد المنعم عبد العزيز المليجى صـ ١١ ط دار المعارف بمصر ١٩٥٥م ،

(٢) مناهج الفلسفة : ترجمة د . أحمد فؤاد الأهوانى صـ ٢٦٢ـ وما بعدها ط القاهرة ١٩٥٦م .

(٣) الدين صـ ٨٩

وكان ـ نابليون ـ يقول : ـ

لو لم يوجد البابا لكنت اخترعته ـ وهو شبيه بقول فولتير ـ

إذا لم يكن الله موجوداً فينبغى أن نخترعه (١) .

٢ : ـ أن العناصر الدينية لابد فيها من : ـ

أ : ـ قوة معبودة لها سيطرتها المطلقة فى جلب المنافع ودفع الأضرار .

ب : ـ جماعة خاضعة لهذه القوة .

جـ : طقوس تنظم صلات هذه الجماعة بمعبودها .

د : ـ هذه الطقوس تختلف من دين إلى دين .

٣ : ـ أن الدين له بالغ التأثير فى نفوس الأفراد والمجتمعات . وفى سلوكهم وتحضرهم .

٤ : ـ أن أحق الأديان بالسيادة والبقاء هو أعلاها سمواً بالإله المعبود . وأكثرها تحقيقاً لاحتياجات الفرد الروحية . والجسمية . والاجتماعية. والتنسيق بين الفرد والمجتمع فيما لكل منهما من حقوق وماعليه من واجبات .

---

(١) مناهج الفلسفة صـ ٢٦٢ وما بعدها .

مناقشة القول بتطور الدين :ـ

يرى الملحدون ومن سار في فلكهم من المتدينين أن نشأة الدين ارتبطت بتطور الإنسان . واستدلوا على هذا الزعم بعدة أدلة . منها :ـ

١ : ـ قياس الملكات والأحاسيس الروحية. على القوى البدنية . والعقلية . والتجريبية . فكما أن الإنسان يتطور فى نموه البدنى من الضعف إلى القوة والعكس. وفى نموه العقلى من الجهالة إلى العلم. يتطور فى حياته الروحية.

٢ : ـ قياس الدين على الصناعة والفن . فكما تتطور الصناعة والفنون يتطور الدين .

٣ : ـ زعموا أن الحفريات والآثار التاريخية تدلهم على أن الإنسان تطور فى عقيدته من التعدد إلى التوحيد .

المناقشة :

هذا كله فى حقيقة الأمر : قياس فاسد . واستدلال باطل . لايصمد أمام الحقائق الثابتة التى تؤكد :ـ

أن قياس الملكات والأحاسيس الروحية . على القوى البدنية والمكتسبات التجريبية والعقلية قياس مبنى على افتراض ظنى لم يقم عليه دليل علمى . فما الأصل الذى بنى عليه هذا القياس ؟ . وهل صحيح أن قوى النفس المختلفة تسير فى نموها على قدم المساواة ؟ وهل حياة الناس الروحية تمشى فى كل أدوارها جنباً إلى جنب مع حياتهم المادية ؟ أو لسنا نرى عياناً أن الحياة المادية والروحية . تسيران فى طريقين متعارضين . كلما زادت إحداهما قلت الأخرى ؟

فإذا صح مايقال من أن الإنسان فى بداية الإنسانية كان قانعاً بكهف يأويه . وجلد حيوان يستره . وشئ من الأعشاب يرد جوعه .... ألا يدفعنا ذلك إلى احتمال أن قلة مشاغله ومطامعه المادية سمحت له بوقت فراغ وجدت نفسيته فيه متسعاً للتأملات التى ترهف حاسته الدينية . وتنمى مشاعره الروحية ؟

بدليل المشاهدة المعاصرة : أن اشتغال الناس بالماديات . وترف الحياة الجسمانية أدى إلى عوز وجدانى لعدم وجود وقت فراغ للتأملات الدينية . فإن الغرائز المتقابلة تضعف وتتقلص بقدر ما تنمو وتقوى أضدادها . ككفتى الميزان لاترتفع إحداهما إلا إذا انخفضت الأخرى تباعاً ! ! (١) .

كما أن قياس الدين على الصناعة محاولة بين أمرين متباينين فى طبائعهما ووسائلهما . ولا تؤلف بينهما حقيقة نوعية مشتركة .

فحقائق العلوم وما ينتج عنها من صناعات تهواها النفس وتسعى جاهدة فى طلبها والحصول عليها بشتى السبل والوسائل الممكنة .

بينما حقيقة الدين فطرة كامنة بين الجوانح وتعرض دلائلها واضحة الحس . ويستوى فى إدراك هذا التباين العالم والجاهل . وكل منهما يجد فى الكون ما يبهره ويستولى على مشاعره .

ثم إن الصناعات شئ مادى. والدين شئ معنوى . فكيف يقاس هذا على ذاك مع اختلافهما فى المظهر والجوهر ؟

إذاً : قياس الدين على الصناعة قياس فاسد ! ! .

---

(١) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء : درؤف شلبى صـ ٤٦ والدين : دراز صـ ١١٥ .

كما أن هذا القياس . يلزم القائلين به . لأن معنى التطور فى الصناعة أنها تبدأ فى صورة بسيطة ساذجة. ثم تنتقل تدريجياً إلى نوع من التركيبات التى تزداد بها تعقيداً كلما ابتعدت عن أصلها .

وتطبيق هذا القانون التطورى بمعناه العلمى على الدين أو العقيدة يستوجب أنها بدأت من السهولة إلى التعقيد ومن الوحدة إلى الكثرة والتعدد .

ـ كما يلزم من هذا القياس أيضاً. أن يكون الإنسان كل الإنسان فى هذا الزمن الحاضر . صادق التدين . خالص التوحيد . لأن الصناعة قد وصلت إلى درجة عالية من التطور. والواقع خلاف ذلك فإن الإنسان المعاصر أحط مايكون - إلا من رحم ربى - من الناحية الدينية أو الأخلاقية . إذ الإلحاد متفش فى أكثر بقاع العالم المعمور .

ـكما يلزم من هذا القياس أيضاً أن لايوجد شرك فى هذا الزمن. والواقع خلاف ذلك . حيث إن الشرك متفش فى كثير من بقاع الأرض .

إذاً : قياس الدين على الصناعة . قياس يلزم أصحابه بأن الدين بدأ توحيداً ثم انحرف المتدينون إلى التعدد أو الشرك بعد ذلك .

وهكذا نرى أن التطور الصحيح لايقف فى صف الدفاع عن القائلين بتطور الدين من التعدد إلى الوحدانية . بل العكس هو الصحيح . حيث إن التطور الصحيح . يقف إلى جانب القائلين بأن الدين بدأ بالوحى والتوحيد . ثم طرأ الانحراف والشرك .

ولا يوجد فى أدلة التاريخ ما يدل على أن التطور يسير من الأضعف إلى الأقوى ولا من الأسطورة إلى الحقيقة .

ثم إنه من المؤكد أن الأمم تتقلب فى تدينها وعباداتها . فتنتقل من التوحيد إلى الشرك . ومن الشرك إلى التوحيد .

فمثلاً أهل مكة كانواعلى التوحيد دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. ثم وقعوا فى الشرك. ثم عادوا إلى التوحيد. بدعوة سيدنا محمد ﷺ .

وهناك نظرية يمكن الأخذ بها . وهى : أن الرشد والضلال فى الفكرة الدينية .

ليستا ظاهرتين متعاقبتين فقط لاصعوداً ولا انحداراً على مدى العصور . بل هما ظاهرتان متعاصرتان موزعتان فى كل أمة . وفى كل جيل تبعاً لاختلاف الناس . فى درجة الاستقامة . وسلامة الحدس العقلى . ونبل الحس الوجدانى .

فلا يخلو جيل من نفوس صافية تدرك الحقيقة نقية واضحة . وأخرى على خلاف ذلك .

وقد اتفق الموثوق بهم من مؤرخى الأديان أن أشد الشعوب همجية ووثنية. لم تنفك عن الاعتقاد بإله خالق هو رب الأرباب . لكن اللغز المحير أنه بين القدر الذى تعرفه من تاريخ البشرية . وبين عصر نشأة الدين لاتزال ثغرة واسعة لم تسد .

فقد اتفقوا على أنه الوقائع المفقودة الوثائق لايمكن إثباتها على وجه قاطع (١) .

---

(١) يا أهل الكتاب : درؤفر شلبي صـ ٤٧ .

وفي هذا يقول الدكتور دراز : ـ مؤرخوا الديانات على الخصوص معترفون بأن الآثار الخاصة بديانة العصر الحجري وما قبله . لا تزال مجهولة لنا جهلاً تاماً . فلا سبيل للخوض فيها إلا بضرب من التكهن والرجم بالغيب (١) .

ولقد أنصف ـ هو فدنج ـ حينما قرر أن تاريخ الأديان غير قادر على حل مشكلة بزوغ الدين فى النوع الإنسانى . فإن التاريخ لايصور لنا هذه البداية الأولى فى موضع ما . وكل مانجده هو سلسلة من صور مختلفة لديانات متقدمة قليلاً أو كثيراً (٢) . وبهذا يظهر جليا فساد القول بتطور الدين . وما أدلته إلا تخرصات وأوهام لاتقوم فى وجه الحق البين المتمثل فى أن دين الإنسان الأول كان واحداً فى شكله . توحيديا فى مضمونه وموضوعه . ويقوم أساساً على إسلام الوجه وتطويع القلب لله رب العالمين .

ولذا يؤمن أتباع الدين السماوى من اليهود والنصارى والمسلمين بأن آدم هو الإنسان الأول . وهو أب البشرية كلها . وهو صنعة الله المباشرة . وأول المؤمنين من البشر ـ فالعقيدة الحقة التى كان عليها آدم هى التوحيد الخالص . تلك حقيقة أولية تتفق عليها الكتب المقدسة (٣) .

إذاً فمما لاشك فيه أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام دون سائر الموجودات مستعداً لهذه المعرفة الربانية الخاصة . حيث أوجده من تراب ليتناسب مع الحياة على الأرض كلها . وأودع فيه من سره ليعرف الله تعالى بحكم هذا السر.

---

(١) الدين صـ ١١٣ .

(٢) يا أهل الكتاب صـ ٤٣ .

(٣) النبوة والأنبياء أحمد عبد الوهاب صـ ١٠

والذى يقع عليه التعريف الإلهى . ولولا هذا السر ما استطاع الانسان بحكم ماديته التعرف على الإله أنه ليس بجسم ولا جوهر . إذ كيف يتعرف الإنسان على مالم يتلاءم أو يستعد لإدراكه ؟ ! .

ولكن بما أودع الله فيه من سره ونوره صار مهيئاً ومتأهباً لهذا الإدراك . ومع هذه النفخة الروحية التى ألقاها الحق سبحانه فى الهيكل البشرى .

كما أن الله تعالى لم يترك الإنسان بلا تعريف آخر يَرِدُ على وسائل الإدراك ويلقى إليها من خارجها . وكان هذا التعريف فى صورة الوحى عن طريق جبريل . أو عن الطريق المباشر .

وقد تلقى آدم أول صورة من صور الوحى . بتعليم الله له كل شئ . ﴿ وعلَم آدمَ الأَسماء كلَّها ثُمَّ عرضهُمْ علَى الملائكةِ فقَالَ أَنْبئُونِي بِأَسْماء هؤلاء إن كُنتمْ صادقِينَ ﴾ (١) .

﴿ يا آدمُ اسكُنْ أنتَ وزوْجُك الْجنَّةَ وكُلا منْها رغداً حَيْثُ شئْتُما ولا تقربا هَذه الشَّجرةَ فتكُونا منَ الظَّالمينَ ﴾ (٢) .

وعن طريق هذا الوحى الإلهى . وما حدث من سجود الملائكة له وما جرى له من أكل الشجرة . وما ترتب على ذلك من إخراجه من الجنة . عرف آدم ربه سبحانه وتعالى . وتكونت لديه معرفة يقينية به سبحانه . ثم هبط إلى الأرض بهذه المعرفة يعبد الله على هديها . ويتعامل مع ذريته بنورها .

وقد اعتبرت هذه الظاهرة من أبرز الظواهر الكاملة الواضحة أمام بصر آدم وقلبه .

---

(١) سورة البقرة آية ٣١ .

(٢) سورة البقرة آية ٣٥ .

كما تعتبر هذه الظاهرة أكمل الظواهر الاجتماعية التى لاتحتاج إلى تنمية عقلية من آدم . ولا من بنيه ونسله .

وبالتالى لم تكن هذه الظاهرة وليدة جهد فكرى . أو تضافر عمليات عقلية. ولم تمر بتدرج ما نحو الكمال . وإنما هى نشأت كاملة على النحو الذى أراده الله تعالى .

وهذا بعكس الظواهر الاجتماعية الأخرى التى تنشأ صغيرة ثم تتدرج نحو الكمال طبقاً للظروف والأحوال الاجتماعية .

وطبقاً لهذا . لابد أن يكون أولاد آدم قد نشأوا على تلك العقيدة الصافية وتلقوها من أبيهم بأية وسيلة من الوسائل :

عن طريق الدعوة . أو التنشئة والتوجيه . أو على أقل تقدير عن طريق التوارث . وقد أكد القرآن الكريم وجود العقيدة الحقة بعاطفتها لدى أبناء آدم . حتى ولو تدخلت الأهواء والشهوات فيها . فقال سبحانه : ﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ نبأ ابْنَيْ آدم بالْحقِّ إذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ منْ أحَدهمَا ولَمْ يُتَقَبَّلْ من الآخر قَال لأقْتُلَنَكَ قَال إنَّما يتقَبَّلُ اللَّهُ من الْمُتَّقين (٢٧) لئن بسطتَ إليَّ يدكَ لتقْتُلني ما أنا بباسط يدي إلَيْك لأقْتُلَكَ إنِّي أخافُ اللَّهَ ربَّ الْعالمين (٢٨) إنِّي أُريدُ أن تبوء بإثْمي وإثمكَ فتكُون منْ أصْحَاب النَّارِ وَذلكَ جزاءُ الظَّالمينَ ﴾ (١) .

- والذى يهمنا من القصة ليس هو السرد التاريخى . أو إثارة العواطف والمشاعر . وإنما هو ما تشير إليه . وما تدل عليه صراحة من أن أولاد آدم

---

(١) سورة المائدة آية ٢٧ ـ ٢٩ .

عرفوا الله تعالى معرفة واضحة . وسادت بينهم روح التدين والتقوى والخوف من الله تعالى . لا عن طريق التدرج والترقى . وإنما عن طريق التعريف الإلهى لآدم عليه السلام ولذريته من بعده عن طريق من يصطفيهم الله لتبليغ دينه وشرعه .

ولكن الملاحظ أن الذرية بدأت تتسع وتنتشر . وبدأ هذا المجتمع الصغير ينمو وتتشعب فروعه . ويتفرق فى أماكن كثيرة من بقاع الأرض مهتمين بشئون الحياة . وما تزال الذرية منشغلة بشئون الحياة . حتى ضعف لديهم الوازع الدينى .وتسلطت عليهم الأهواء. وحجبوا عن بريق العقيدة الصحيحة الصافية . بفعل النفس وشهواتها . والدنيا وغرورها . والعوامل الطبيعية التى اتجهوا إليها .

ويسبب الجهل وضعف النظر العقلى . وعدم اهتمامهم بمشكلات الغيب .

وعلى الرغم من هذا كله . فإن التدين والتوحيد لم يمح تماماً بل ظل راسخاً بأصله فى النفوس حتى فى المجتمعات التى توصف بالبدائية أو الهمجية والتى لم تستطع تفسير الدين تفسيراً صحيحاً . وتستشعر دائماً تلك القوة الخفية وراء حدود المادة والحس .

وطفق الإنسان يتصور تلك القوة فى أشياء متعددة . ويلبسها أثواباً حيوانية أو نباتية أو حجرية . ويعتقد أن الله حل فيها . أو أن هذه الأشياء هى الإله .

ومهمة الرسل والرسالات السماوية هى تطهير العقيدة الحقة من هذا الانحطاط الذى وصلت إليه بفعل الأهواء والشهوات . ويؤكد هذا قول الله

تعالى ـ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين .... (١) ـ

روى الإمام ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ـ كان بين آدم ونوح عشرة قرون . كلهم على شريعة من الحق . فاختلفوا . فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ـ (٢) .

ويؤيد هذا قراءة أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما ـ كان الناس أمة واحدة فاختلفوا ـ كما يؤيدهما قول الله تعالى ـ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ـ (٣)

وهذا كله يؤكد لنا بكل وضوح أن بنى آدم عبدوا الله تعالى فترة من الزمن وهى عشرة قرون (٤) . ثم انحرفوا عن هذه العبادة الحقة . فبعث الله تعالى إليهم الرسل ليردوهم إلى العقيدة الحقة . والتوحيد الخالص .

وقد أكد كثير من الباحثين غير المسلمين هذه الحقيقة ـ لا عن طريق الوحى وإن كان فيه كل الكفاية بل عن طريق الآثار والحفريات . أيضاً .

فيقرر ماكس موللر ـ مكتشف اللغة السنسكراتية ـ أن الناس كانوا فى أقدم عهودهم على التوحيد الخالص . وأن الوثنية عارضة عليهم بفعل رؤسائهم الدينيين بغياً بينهم (٥) ـ

كما أكد هذا الرأى العالم الإسترالى وليم سميث حيث ذكر فى كتابه ـ

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٣ .

(٢) تفسير الطبرى جـ ٢ صـ ٣٣٤ .

(٣) سورة يونس آية ١٩ .

(٤) القرن لايعنى بالتأكيد مائة سنة فقط . بل قد يعنى جيلا بأكمله كما فى قوله ﷺ ـ خير القرون قرنى ....

(٥) يوم الإسلام : أحمد أمين صـ ١٥ ط النهضة المصرية بالقاهرة بدون تاريخ .

أسس فكرة التوحيد - مجموعة من البراهين والأدلة التى جمعها من عدة مناطق واتجاهات تؤكد أن أول تعبد مارسه الإنسان كان تجاه الله الواحد العظيم (١) -

ويؤكد هذه الحقيقة بوقائع معاصرة أحد الباحثين المسلمين (٢) حيث يقول : عندنا فى بلاد أرخبيل الملايو دليل أكيد على أن أهل ديارنا هذه . كانوا يعبدون الله الواحد . وذلك قبل أن يدخل الإسلام إلى هذه الديار . وقبل أن تدخل النصرانية .

وفى عقيدة جزيرة - كلمنتان بأندونيسيا - لوثة من الهندوسية . ورائحة من الإسلام . مع أن التوحيد كعبادة لأهل هذه الديار كان هو الأصل قبل وصول الهندوسية . أو الإسلام إليها . وإذا رجعنا إلى اللغة الدارجة لأهل هذه الديار قبل استخدام اللغة السنسكريتية . أو قبل هجرة الهندوسية أو دخول الإسلام تأكدنا من أن التصور الاعتقادى لأجدادنا حسب النطق والتعبير الموروث . هو أن الله فى عقيدتهم واحد لا شريك له (٣) .

---

(١) التفكير الدينى فى العالم قبل الإسلام : د أورانج كاى رحمات داتو - ترجمة د . رؤوف شلبى صـ ٢٨ وما بعدها ط دار الثقافة بالدوحة بدون تاريخ .

(٢) مؤلف المرجع السابق وهو من علماء الملايو فى أندونيسيا .

(٣) المرجع السابق صـ ٣٠ .

المبحث التاسع

المبحث التاسع :

مصدر الدين :ـ

تعددت وجهات نظر الباحثين فى الأديان . حول الدين ومصدره والباعث عليه ، وقد ظهر لكل باحث سمة أو عدة سمات للدين ـ من وجهة نظره ـ باعتباره ظاهرة عامة . أو الأديان باعتبارها أنماطاً متعددة أو صوراً متنوعة لهذه الظاهرة

ـ فوجد من الباحثين من نظر إلى الطابع العام للدين كواجب .

ـ ومنهم من نظر إليه كعاطفة أو شعور .

ـ ومنهم من نظر إليه كوسيلة لتزكية النفس أو العقل .

ـ ومنهم من نظر إليه كطلاسم خرافية أو خيالية .

وبناء على ذلك تعددت اتجاهاتهم فى مصدر هذا الدين أو تلك الأديان . ويمكن حصرها فى اتجاهين رئيسيين .

الاتجاه الأول : يرى أن الدين مصدره الوحى الإلهى من القوة العليا الخالقة لهذا الكون بما فيه . ومن فيه .

والباعث على هذا الدين هو الدافع الفطرى الذى يحرك الإحساس بالصلة بين المخلوق والخالق .

وهذا الاتجاه يقول به المؤمنون بالأديان السماوية اليهودية . والمسيحية . والإسلام . وكذلك الزراد شتية . والبرهميه فى فارس والهند (١) .

---

(١) الإنسان فى ظل الأديان . د : عمارة نجيب صـ ٢٦ .

وهذا الاتجاه يستند في ذلك على قصة الخلق . والهدف الإلهى منه . ويضع في الاعتبار : دقة الصانع وقدرته . وكمال الإنسان وعلو مرتبته في الخلق وعدم تطوره عن كائن آخر . وعلاقة هذا الإنسان مع الله تعالى .

[ولا دليل لأصحاب الديانات الأربع السابقة للإسلام على أنها من وحى قوة عليا وراء المخلوقات إلا ما يجدونه في أسفارها . وما ورثوه عن الآباء والأجداد يشير إلى هذه القوة . ويدعو الناس إلى عبادة صاحبها] (١) .

أما أدلة المسلمين فكثيرة . منها :-

١ :- القرآن الكريم ذاته المتحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله . ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً - وبقاء هذا التحدى قديماً . وحديثا . ومستقبلاً .

٢ :- ما يقدمه القرآن الكريم من قوانين اجتماعية . وقواعد نفسية وأسس حضارية لايملك الوصول إليها إلا عالم محيط خبير بأسرار الكون وخفايا النفس . وتاريخ الماضى والحاضر والمستقبل .

٣ :- صدق صاحب الرسالة محمد بن عبد الله ﷺ . قبل البعثة . فلم يجرب عليه كذب قط .

٤ :- عدم انقطاع الصلة بين فترة تلقى القرآن . وبين حفظه في الصدور وكتابته وتواتره من غير تحريف أو تبديل. بعكس كتب الديانات الأخرى (٢)

وكلام أصحاب هذا الاتجاه يؤكد شيئين في غاية الأهمية :

أولهما :- أنه يفى بمقتضيات قانون التطور . الذى يبدأ من البسيط إلى المركب . أى أن الدين بدأ توحيديا . ثم طرأ عليه التعدد والانحراف .

---

(١) السابق صـ ٢٧ .

(٢) السابق نفسه

ثانيهما : ـ أنه يعترف بالألوهية وعلاقتها بالخلق . خاصة تزويد الإنسان بالوسائل الضرورية الكافية لإدراك خالقه والتصرف فى شئون حياته الخاصة والعامة .

وهو ما أكده الميثاق الذى أخذه الله تعالى على البشرية وهى فى عالم الذر .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١) .

وهذا الميثاق يشير إلى أن الله تعالى قد وضع فى الإنسان مبدأ التعقل والتمييز الذى يدرك به إلهه وخالقه إذا كان سليم الفطرة. نزيها فى أحكامه. وقد أشهده بهذه الميزة . على نفسه . بأنه عبد . وأن له رباً خالقاً بيده ملكوت كل شئ . يتوجه إليه بالخضوع والخشوع .

الاتجاه الثانى : يرى أن الدين مصدره الفكر البشرى . والباعث عليه نفس الإنسان وبيئته ورغباته .

وهذا الاتجاه . يقول به الملحدون أو أدعياء المنهج العلمى .

[مدعين أن منهجهم العلمى ـ فى نظرهم ـ لم يوصلهم إلى شئ وراء الطبيعة. ومالم يصل العلم إلى إثباته يعد ـ فى نظرهم أيضاً ـ عدماً وباطلاً.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧١ .

ولذلك راحوا يتلمسون علة ظهور الأديان فى كل المجتمعات الإنسانية تقريباً فى شئ غير الوحى وما وراء الطبيعة . ولم يكن أمامهم إلا الطبيعة نفسها بما فيها الإنسان] (١) .

وهكذا يجمع أصحاب هذا الإتجاه على أمرين :-

أولهما : إنكار الألوهية .

ثانيهما : التركيز على القول بالتطور الدينى .

ولذا يذهبون مذاهب شتى فى تفسير الباعث على التدين . من أهمها :-

١ . ـ الغريزة الإنسانية الشاملة . للتدين والجنس . والتملك . والحب . والكره ... الخ :

فيعلل بعض المحللين والناقدين للأديان (٢) ظهور المعتقدات الدينية فى حياة الإنسان بالغريزه بوجه عام. ومنها :ـ غريزة التدين ـ باعتبارها من الغرائز الأولى المتمكنة فى كل نفس إنسانية . حتى الملاحدة يدافعون عن إلحادهم كما لو كان الإلحاد ديناً متمكناً يسيطر على عقولهم وقلوبهم يتعبدون من خلاله الطبيعة . ويرونها الإله المعصوم . والخالق المبدع .

وعن هذه الغريزة كان الدين ظاهرة عامة فى المجتمعات البشرية طوال التاريخ الإنسانى. يدفع الفرد إلى البحث عن القوة العليا المدبرة لهذا الكون. وعبادتها مباشرة أو بالواسطة . أى أن الفطرة تهتدى بنفسها وخلقتها الطبيعية إلى دين . وأن الدين يتوافق مع الطبائع الإنسانية ويرضيها (٣) .

---

(١) الإنسان فى ظل الأديان صـ ٢٧ .

(٢) أمثال : هنرى برجسون القائل إن الإنسان مدنى بطبعة . وفرويد القائل بالخلط بين الدين والغريزة الجنسية . ويفسر حب الإله بالتسامى فى الحب الجنسى .

(٣) الإنسان فى ظل الأديان صـ ٣٣ ـ ٣٤ .

٢ : ـ عقل الإنسان بمواهبه وتأملاته وأفكاره . حتى قال ـ ماكس ميللر (١) ـ : ـ إن العقل هو الباعث على التدين. وذلك لأن العقل هو ميزة الإنسان عن الحيوان . وهو باعث على النظر والتفكر في هذه المخلوقات . والإعجاب بها وتعظيمها . ومن هنا أخذ العقل يفكر فيما وراء الطبيعة . وأداه عقله مع اللغة المستخدمة فى الحديث عن الجمادات (٢) . إلى صبغها بصبغة الأحياء ذوات الأرواح . مما جعله يعبدها ويؤلهها (٣) .

فالعقل فى عرف هذا الاتجاه هو الذى أخذ صاحبه بعد حيرة شديدة . وتخبط أشد . إلى خيالات ما وراء الحس . وأوهام ما وراء الطبيعة .

ومن هذه الأوهام والخيالات أقام عالماً من الأساطير والعقائد . كانت بداية للتدين فى حياة البشر ـ هكذا يزعمون ـ

وقد اضطر العقل إلى ذلك فى وقت لم يكن الإنسان فيه إلا طفلاً يبحث عن شئ يعوضه عن جهله بحقائق الأشياء حوله (٤) .

٣ : ـ خوف الإنسان وقلقه نظراً لضعفه بين مظاهر الطبيعة وكائناتها . فى وقت كان فيه كالطفل يجهل طبائع الأشياء من حوله . فكان يرهبها .

لهذا امتلأ عالمه بالآلهة والمعبودات من كل شئ :الرعد. والبرق .

---

(١) مستشرق ألمانى من علماء اللغات ومن المتعمقين فى دراسة الأساطير .

(٢) المراد هو أن اللغة تتحدث عن بعض الجمادات وتنسب لها أفعالاً تشبه أفعال الإنسان . وكأن لهذه الجمادات إرادة واختيار . وفيها روح . كالقول : النهر يجرى . والشمس تطلع . والمطر ينهمر . والنار تشهق أو تزفر ... الخ .

(٣) الدين صـ ١٢١ .

(٤) الإنسان فى ظل الأديان صـ ٣٥ .

والصواعق والأمطار . والأنهار . والكواكب والأشجار . والصخور والجبال . والوحوش والحشرات . والطيور والهوام ... الخ .

كل هذه المخلوقات جعلت حركة الإنسان في طفولته الإنسانية الأولى . حركة الخائف القلق . المضطرب الحذر . يتلمس في كل خطوة خطراً . ويتوقع في كل لحظة شراً ....

من هنا انبعث ولاء الإنسان لقوى أو كائنات خافها . أو ظنها قادرة على دفع الخوف والرهبة من نفسه . فحرص على التقرب لها ليتقى شرها ويضمن نفعها ويستدر عطفها . فأصبحت جميع قوى الطبيعة وكائناتها آلهة تعبد : ماينفع عبده الإنسان ليضمن نفعه . وما يؤذى عبده ليأمن أذاه .

وهذا ما يقرره الأكثرون من ناقدى الأديان (١) . ومنهم العالم الانجليزى جيفونس (٢) والفيلسوف كيرك جورد القائل : إذا حذفتم القلق من ضمير الإنسانية تستطيعون أن تغلقوا الكنائس . وتجعلوها قاعات رقص ! ! (٣) .

وول ديورانت في كتابه قصة الحضارة حيث يقول عن أسباب الدين وبواعثه : ـ ومنها كذلك : الدهشة لما يسبب الحوادث التى تأتى مصادفة . أو الأحداث التى ليس فى مقدور الإنسان فهمها .. هذه الأحداث أقنعته بأن كل كائن حى له نفس أو حياة دفينة فى جوفه (٤) .

---

(١) الله : للعقاد صـ ١١ ط دار الهلال ١٩٦٨م العدد ٢٠٧

(٢) الدين لدراز صـ ١٢١ والطوطمية د . على عبد الواحد وافى صـ ١٠٠ ط دار المعارف بمصر سلسلة إقرأ رقم ١٩٤ .

(٣) الصراع فى الوجود : بولس سلامة صـ ١٧٢ وقضية الألوهية بين الفلسفة والدين ـ الله ذاتاً وموضوعاً : عبد الكريم الخطيب صـ ٢٨ .

(٤) قصة الحضارة ول ديورانت جـ ١ صـ ٩٩ ـ ١٠١ ط ٣ القاهرة ١٩٦٥م ترجمة د زكى نجيب محمود

هذه النفس أو الحياة تحولت فى تفكير الإنسان إلى آلهة تقدس وتعبد .

٤ : ـ الحاجة الاجتماعية : وذلك لأن المجتمعات البشرية تحتاج إلى نظم وقوانين تحفظ توازنها . ويؤدى بها كل إنسان واجبه بمراقبة داخلية يخضع لها الإنسان . مما جعل بعض الأفذاذ وذوى القيادة يتولد فى أذهانهم فكرة الدين . ويبثونها فى جماعتهم . فتقبله الجماعة نظراً لحاجتها إلى ذلك (١) . وقد قال بذلك كل من هنرى برجسون (٢) وأميل دور كايم (٣) .

٥ : ـ ويرى البعض أن العادات والتقاليد قد تكون هى الباعث على التدين كما فى قوله تعالى

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (٤) . ﴿وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٥) .

٦ : ـ وقيل إن السحر هو الباعث على التدين .

٧ : ـ وقيل إن الفيتيشية هى الباعث على التدين . لأنها عبارة عن الاعتقاد بأن لكل مادة روحاً تحل فيها . وأن الاستحواذ على هذه الروح يمكن الإنسان من استخدامها والانتفاع بها (٦) .

هذه هى أبرز وأشهر الاتجاهات فى تفسير الباعث على التدين . فى نظر غير المؤمنين بالدين السماوى .

---

(١) الإنسان فى ظل الأديان صـ ٣٩ والدين : دراز صـ ١٤٦ و ١٥٨ .

(٢) هذا الفيلسوف يهودى الأصيل وقد شاع أنه تنصر فى أواخر حياته . ولكن فلسفته كلها تدل على أنه لا دينى يؤمن بالحياة من حيث هى قوة مندفعة فى أعمالها تخبط خبط عشواء .

(٣) عالم اجتماع فرنسى توفى ١٩١٧م .

(٤) سورة الزخرف آية ٢٢ .

(٥) سورة الشعراء آية ٧٤ .

(٦) الأديان القديمة فى الشرق : د . رؤوف شلبى صـ ٣٠ ط ٢ دار الشروق بالقاهرة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م .

وهذه الاتجاهات لاتحتاج إلى كثير عناء فى إبطالها والرد عليها . ولا يعدو ما ذكروه من باعث على التدين . إلا تخرصات وتخمينات باطلة . وفروضاً لاتصمد أمام البحث العلمى المنصف . وذلك :

لأن الحديث عن باعث التدين يحتاج إلى التعرف على مكتونات النفس البشرية .

كما يحتاج إلى دراسة تاريخ الإنسان منذ بداية خلقه دراسة متعمقة متأنية منصفة تتبع عواطفه وشاعره حسب الظروف والأحوال التى تحيط به فى كل حركاته وسكناته . ومدى قرب هذه المشاعر من الدين . أو بعدها عنه وأسباب هذا القرب أو البعد .

وهذا كله لايمكن أن يتم إلا من عالم محيط خبير بكل شئ . وهو ما يستحيل وجوده فى عالم البشر بعيداً عن الوحى الإلهى المعصوم .

وعلى ذلك . فلا يمكن أن يتضح كل ما يتعلق بالباعث على التدين إلا من خلال هذا الوحى الذى قرر أن الباعث يتمثل فى الفطرة - ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (١) - ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٢) .

فهذه الآية من سورة الأعراف تشهد للآية التى قبلها من سورة الروم . وتبين كيف جعل الله تعالى التدين فى فطر بنى آدم . وأنه تعالى أخرجهم

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٢ - ١٧٣ .

من ظهور آبائهم . وأخذ عليهم العهد والميثاق بذلك . ويؤكد ذلك قول النبي ﷺ : ـ يقول الله تعالى لأهْوَنِ أهل النار عذاباً : لو كانت لك الدنيا ومافيها أكنت مفتدياً بها ؟ فيقول : نعم . فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم : ألا تشرك ولا أدخلك النار . فأبيت إلا الشرك : ـ (١) .

وقوله ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة . فأبواه يهودانه أو ينصرانه . أو يمجسانه .... (٢) ـ

كما يتضح أيضاً ـ من خلال ما سبق ـ أن الأديان التي يدين بها الإنسان **تتنوع باعتبار مصدرها إلى :** ـ أديان سماوية موحى بها وهي :اليهودية . والنصرانية . والإسلام (٣) .

أديان وضعية وضعها البشر من أنفسهم . كالبوذية والهندوكية . والأصنام ... الخ .

وتتنوع باعتبار مايعبد فيها إلى :

دين يعبد فيه إله واحد لاشريك له ـ وهو دين الإسلام الذي أرسل به سيدنا محمد ﷺ .

أديان يدعي أصحابها عبادة الله . ويشركون معه غيره . وهي اليهودية والنصرانية بعد أنه دخل فيها التحريف . إذ قالوا عزير ابن الله . والمسيح ابن الله .

أديان وثنية شركية يعبد فيها ألهة غير الله . وهي الهندوكية والبوذية . وغيرها من الوثنيات القديمة والحديثة .

وهذه الأديان في مجملها . دين صحيح . وأديان غير صحيحة .

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأنبياء جـ ٤ صـ ١٠٦ .

(٢) البخاري كتاب الجنائز جـ ٢ صـ ٢٤٦ .

(٣) على اعتبار أن اليهودية والنصرانية في الأصل موحى بها ثم دخلها التحريف .

الدين الصحيح :ـ

إن العالم ـ قديماً وحديثا ـ مملوء بكثير من الأديان . كل دين له من يعتنقه ويدافع عنه ويرى أنه على الحق والصواب . ومن عداه على الباطل والضلال .

والباحث المنصف لايستطيع أن يجامل الجميع . ويقول : إنها جميعاً صحيحة وعلى حق . لأن هذه الكثرة من الأديان مملوءة بالمتناقضات التى لا يمكن التسليم بها فى وقت واحد . كما أنه لابد أن يكون من بين هذه الأديان المتعددة . دين ينسجم مع العقل السليم . والفكر المستقيم . والفطرة النقية . بتلبية متطلبات كل منها . ويتسم هذا الدين بسمات تميزه عما عداه من الأديان . ويقوم على دعائم أساسية لايتم إلا بها . ومن هذا كله :ـ

١ : ـ الإيمان بوجود خالق ـ متصف بكل كمال . منزه عن كل نقص ـ لهذا الكون تحسه الفطرة النقية : ويدركه العقل الرشيد . ويؤكده وحى سماوى صدوق .

٢ : ـ الإيمان برسول من هذا الإله الخالق يبلغ الخلق عن هذا الخالق .

٣ : ـ الإيمان بمعجزة لهذا الرسول تدل على صدقه . وتؤكد رسالته .

٤ : ـ أن تكون هذه المعجزة حاضرة بين أيدى الناس حتى يحكموا بها بأنفسهم على قناعتهم برسالة من أرسله الخالق إليهم . دون اللجوء إلى أحكام سابقة وضعت فى أوقات معينة . من أناس يجوز عليهم الخطأ المتعمد أو غير المتعمد .

٥ : ـ أن يتأكد كل إنسان بنفسه من خلو هذه المعجزة فى كل جزئية منها من التحريف أو الغموض .

٦ : أن تسمو هذه المعجزة عن أن يقلدها ـ تقليداً صحيحاً ـ أى إنسان في أى زمان أو مكان .

٧ : ـ أن تكون تعاليم هذا الدين ـ من واقع الرسالة والرسول والمعجزة ـ مقبولة عقلاً . وصالحة للمجتمعات والأفراد على حدٍ سواء .

٨ : ـ الإيمان باليوم الآخر ومافيه من ثواب وعقاب يكافئ المحسن بإحسانه والمسئ بإساءته ـ عدلاً وإحساناً ـ

وبناءً على ذلك : يخرج من هذا النطاق . الأديان الوضعية . إذ ليس فيها مايتصل بالنبوة أو الرسالة والمعجزة من قريب أو من بعيد .

كما يخرج منه : اليهودية والنصرانية . لما حدث فيهما من تحريف وتبديل ولاعتمادها على معجزات حدثت في الماضى . وأصبحت خبراً يروى . وأثراً ينتقل . فمثلاً معجزة موسى عليه السلام : العصا . أو اليد . أو غيرهما . كانت معجزة حسية . تشاهد وترى . بالإضافة إلى أنها معجزة شخصية مرتبطة بشخص موسى عليه السلام . وبعد وفاته أصبحت خبراً يروى .

وكذلك معجزة عيسى عليه السلام . إبراء الأكمة والأبرص . وإحياء الموتى بإذن الله . وغيرها

فلم يبق من دين صحيح ـ ينطبق عليه كل ما سبق من سمات ـ سوى الدين الإسلامى الذى جاء به رسول الله محمد بن عبد الله . ومعجزته ـ القرآن الكريم ـ تلك المعجزة العقلية المشتملة على كل ما يسعد الإنسان فرداً ومجتمعاً . غير المرتبطة بشخصية الرسول . الباقية ببقاء الناس .

والناس بعد محمد ﷺ يرون معجزته رأى العين. كمن حضروه وشاهدوه. وإذا كانت الأجيال من بعده ترى هذه المعجزة وتفهمها. فهى حجة الله

القائمة عليها . فإن ضلت . فإنها لاتضل عن جهالة . ولا عن نقص فى البينات . ولا عن شك فى الأمر . بل عن عمىً فى البصيرة . وتحكم فى الهوى . وسيطرة للأوهام .

وبقاء هذه المعجزة وخلودها . وحفظها من التحريف والتبديل . دليل على أنها معجزة الدهر . وصوت السماء إلى كل إنسان على ظهر الأرض إلى يوم الدين .

وحدة الدين :

إن دين الله تعالى واحد . أرسل به جميع رسله من لدن آدم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقول الله تعالى : ـ ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وأنا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١)ـ

والمراد بالأمة فى هذه الآية : الدين الصحيح . أو الملة الحقة .

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ـ وغيرهم ـ فى معنى هذه الآية : دينكم دين واحد (٢) .

لأن الله تعالى لما ذكر الأنبياء والرسل فى الآيات قبل هذه الآية قال : هؤلاء كلهم مجتمعون على التوحيد . فالأمة هنا بمعنى الدين الذى هو الإسلام (٣) .

وقال النبى ﷺ ـ الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى. ودينهم واحد (٤) .

ويؤكده خطاب الله تعالى لجميع الرسل: ـ ﴿ يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كلوا من الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدة وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٢ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ١٩٤ .

(٣) تفسير القرطبى جـ ٦ صـ ٤٥١٩ وراجع تفسير أبى السعود جـ ٥ صـ ٨٤ وتفسير الرازى جـ ٢٢ صـ ٢١٩ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل جـ ١٥ صـ ١١٩ .

(٥) سورة المؤمنون آية ٥١ ، ٥٢ .

أى دينكم يامعاشر الأنبياء دين واحد . وملة واحدة . وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لاشريك له (١) .

مظاهر وحدة الدين :-

تبدو وحدة دين الله تعالى لجميع الأنبياء والمرسلين . من عدة جهات :-

من جهة وحدة المصدر . ومن جهة وحدة الموضوع . ومن جهة وحدة التسمية :

وحدة المصدر :- إن الله تعالى منذ خلق آدم أبا البشرية. وأهبطه إلى الأرض أعانه على مشاق الحياة . وهداه إلى كل ما يحفظ حياته من أمور المأكل والمشرب والملبس والمسكن . وغير ذلك من الأمور المادية .

ولم يتركه دون رعاية روحية . بل شرع له منهجاً إلهياً يهديه . ويهدى ذريته من بعده . وتعهد الحق سبحانه هذه الذرية بإرسال الرسل وإنزال الكتب على مر التاريخ البشرى . لبيان طريق الهدى والرشاد .

وانتهت رسالات الله إلى البشرية بإرسال خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ . فكانت رسالته خاتمة الرسالات . ومكملة لدين الله الذى جاء به جميع الأنبياء والمرسلين .

ـ فالوحى الإلهى إذاً : جاء رحمة من عند الله تعالى . يهدى النفوس الضالة ويساعد العقل الإنسانى على الوصول إلى الحق من أقرب الطرق وأيسرها (٢) ...

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٢٤٧ .

(٢) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه د . محمد يوسف موسى صـ ١٩ ط مكتبة الفلاح الكويت ١٩٩١م .

ولما كانت جميع الرسالات السماوية من عند الله تعالى اتحدث في أصلها ومضمونها . ولذا نجد أنها كلها:

تهدف إلى معان واحدة من : توحيد الله تعالى وتعظيمه . وإثبات صفاته العليا .

كما تأمر بعبادته وطاعته وحده لا شريك له .

كما تحث على الفضائل والأعمال الصالحة . وتنهى عن الرذائل والأعمال الفاسدة ، مما لا يمكن حصره . وإنما مداره : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مما يدل على أنهم جميعاً . يقتبسون من مشكاة واحدة. وينهلون من معين واحد . ولذا يبين الله تعالى فطرته العامة قائلاً : ـ ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ (١) ـ

ويبين أن رسالته إلى جميع الأنبياء والمرسلين واحدة بقوله سبحانه ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ... ﴾ (٢) ـ

ويبين أن دينه واحد لجميع أنبيائه ورسله . بقوله سبحانه : ـ ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٣) ـ

كما يبين سبحانه أنه أرسل جميع رسله بوحدانيته سبحانه ـ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٤) ـ وخاطب نبيه محمد ﷺ قائلاً : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ﴾ ـ (٥) لأنهم جميعاً موكب

---

(١) سورة الروم آية ٣٠
(٢) سورة النساء آية ١٦٣
(٣) سورة الشورى الآية ١٣
(٤) سورة الأنبياء آية ٢٥
(٥) سورة الأحقاف ٩

واحد موصول . متماسك الحلقات يتراءى على طول التاريخ البشرى الموصول . ورسالة واحدة . بهدى واحد للإنذار والتبشير . موكب واحد يضم هذه الصفوة المختارة لهداية الخلق لطريق الحق .

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ـ ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (١) ـ وهذا تقرير لينابيع الهدى فى هذه الأرض . وهذا الهدى يتمثل فيما جاءت به الرسل . وينحصر المستيقن منه والذى يجب اتباعه . فى هذا المصدر الواحد . الذى يقرر الله تعالى أنه هدى الله .

وأنه هو الذى يهدى إليه من يختار من عباده (٢) .

وبهذا يتقرر . أن مصدر الدين واحد . هو وحدة الوحى .

فالموحى : هو الله العزيز الحكيم . والموحى به هو الدين .

والموحى إليه : هم الرسل عليهم الصلاة والسلام على مر الزمان .

وحدة الموضوع :-

إن دين الإله الواحد سبحانه وتعالى . يتعلق بموضوع واحد . يتمثل فى عبادة الله وحده لاشريك له . وإقامة منهجه بين خلقه . ليقوم الناس بالقسط.

ـ ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ ـ (٣) ـ

ويشير إلى وحدة موضوع الدين الإلهى عدة آيات من القرآن الكريم منها .

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٨٨

(٢) تفسير الظلال صـ ١١٤٤ .

(٣) سورة الحديد آية ٢٥ .

١ : ـ قول الله تعالى : ـ ﴿ ولقدْ بعثْنا في كلِ أمَة رسولا أن اعبدوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (١) ـ أى اعبدوا الله ووحدوه . واتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم وكل من دعا إلى الضلال (٢). فجميع الرسل دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له . ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد (٣) .

٢ : ـ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَه إِلاَّ أَنا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٤) .

أى قلنا للجميع :لا إله إلا الله. فأدلة العقل شاهدة أنه لا شريك له. والنقل عن جميع الأنبياء موجود . والدليل إما معقول . وإما منقول .

ولذا قال قتادة . لم يرسل نبى إلا بالتوحيد. والشرائع مختلفة فى التوراة والإنجيل والقرآن وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد (٥) .

كما يقول الحافظ ابن كثير : ـ كل نبى بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له . والفطرة شاهدة بذلك أيضاً (٦) .

٣ : ـ ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمنِ آلهة يُعْبَدُونَ ﴾ (٧) ؟ ـ

---

(١) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٢) تفسير القرطبى جـ ٥ صـ ٢٨٢٨ .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ١٢٩ .
(٤) سورة الأنبياء آية ٢٥ .
(٥) تفسير القرطبى جـ ٦ صـ ٤٤٥٧ .
(٦) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ١٧٦ .
(٧) سورة الزخرف آية ٤٥ .

قال الإمام ابن عباس . وابن زيد ـ وغيرهما ـ : لما أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ... بعث الله له آدم ومن ولد من المرسلين . وجبريل مع النبى ﷺ . فأذَّنَ جبريل ثم أقام الصلاة . ثم قال : يا محمد تقدم فَصلِّ بهم . فلما انفتل قام فقال :إن ربى أوحى إلى أن أسألكم هل أرسل أحد منكم يدعو إلى عبادة غير الله ؟. فقالوا :يا محمد إنا نشهد . أنا أرسلنا أجمعين بدعوة واحدة أن لا إله إلا الله . وأن ما يعبدون من دونه باطل . وأنك خاتم النبيين وسيد المرسلين .

قد استبان ذلك لنا بإمامتك إيانا . وأن لانبى بعدك إلى يوم القيامة . إلا عيسى ابن مريم فإنه مأمور أن يتبع أثرك (١) . ثم قال القرطبى : ـ قلت : هذا هو الصحيح فى تفسير هذه الآية (٢) .

وقيل : المعنى : واسأل أتباع من أرسلنا من قبلك من رسلنا . فحذف المضاف .

وسبب هذا الأمر بالسؤال : أن اليهود والمشركين قالوا للنبى ﷺ : إن ماجئت به مخالف لمن كان قبلك . فأمره الله بسؤاله الأنبياء على جهة التوفيق والتقرير . لا لأنه كان فى شك منه (٣) .

٤ : ـ وقد بدت وحدة موضوع دين الله تعالى إلى جميع الأنبياء والمرسلين جلية فى سورة الأعراف والشعراء بالإضافة إلى غيرهما من السور الكريمة. ومن ذلك قوله تعالى : ـ

---

(١) تفسير القرطبى جـ ٩ صـ ٦١٤١ .
(٢) السابق نفسه .
(٣) السابق نفسه .

ـــ ﴿ لقدْ أرْسلْنا نُوحًا إلَىٰ قومه فقال يا قوْم اعْبدُوا اللَّه ما لكم منْ إله غيْرُهُ ... ﴾ (١)

ـ ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٢)

ـــ ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ... ﴾ (٣) .

ـــ ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٤) .

ـ ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ... ﴾ (٥) .

ـ ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٦) .

ومع أن هناك أبعاد زمانية ومكانية بين الرسول محمد ﷺ وبين إخوانه المرسلين من قبله . إلا أن هذه الأبعاد تتلاشى تماماً أمام الحقيقة الثابتة المطردة . المتمثلة في حقيقة وحدة الدين المرتكزة على التوحيد الخالص لله رب العالمين والمتصلة بعد أن تلاشت أمامها حواجز الزمان والمكان والشكل أو الصورة .

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٩ .
(٢) سورة الأعراف آية ٦٥ .
(٣) سورة الأعراف آية ٧٣ .
(٤) سورة الأعراف آية ٨٥ .
(٥) سورة العنكبوت آية ١٦ .
(٦) سورة الزخرف آية ٦٣ ـ ٦٤ .

وجهة التسمية : ـ إن دين الله تعالى لجميع خلقه دين واحد فى مصدره . وفى موضوعه . وفى تسميته .

وقد أقر جميع الأنبياء والمرسلين بالخضوع والاستسلام والدعوة لهذا الدين الواحد . باللفظ الصريح على لسان كل منهم .

فهذا نبى الله نوح عليه السلام يقول لقومه : ـ ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) ـ

ويبتهل إبراهيم الخليل وابنه اسماعيل عليهما السلام ؟ ـ ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) ـ

وقد أستجاب الخليل لأمر ربه له بالإسلام . ووصى به أبناءه . وذريته من بعده .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٣) .

وفى هذا الجو الواحد . المتحد فى الخضوع والإسلام لله رب العالمين الذى

---

(١) سورة يونس آية ٧٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٢٨ .

(٣) سورة البقرة آية ١٣١ ـ ١٣٣ .

عاش فيه الخليل وذريته . ينعى القرآن الكريم على من ينتسب أو يدعو إلى غير الإسلام .

وينصح كل من يَدَّعِي غير الإسلام ديناً للخليل . بأن يتبعوا الإسلام الذى هو دين إبراهيم

فقال سبحانه : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

وفى نفس الوقت ينفى القرآن الكريم ادعاء كل من يدعى أن إبراهيم عليه السلام كان على دين غير الإسلام فيقول سبحانه : ـ ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) .

وهذا يوسف عليه السلام يدعو ربه قائلاً: ـ ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٣) ـ

وكان نبى الله سليمان عليه السلام مسلماً . فقال مظهراً نعمة الله عليه ـ ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ (٤) ـ ولما جاءت بلقيس إلى سليمان قالت ـ ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) ـ

---

(١) سورة البقرة آية : ١٣٥ و ١٣٦

(٢) سورة آل عمران آية ٦٧ .

(٣) سورة يوسف آية ١٠١ .

(٤) سورة النمل آية : ٤٢ .

(٥) سورة النمل آية ٤٤

ويأتى نبى الله موسى عليه السلام طالباً من قومه :-

﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ (١)

ويعلن سحرة فرعون خضوعهم وإسلامهم لله تعالى . قائلين لفرعون :-

﴿ وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴾ (٢) -

ويعلنها فرعون صاغراً فى أحلك أوقاته

﴿ حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ (٣) .

وكل أنبياء بنى إسرائيل من بعد موسى . أسلموا لله رب العالمين . وقد وصفهم القرآن بهذا الوصف فى قول الله تعالى :-

﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ... ﴾ (٤) الآية .

ويأتى خاتم أنبياء بنى إسرائيل معلناً إسلامه داعياً قومه إلى الإسلام حتى استجاب له المخلصون منهم - .

﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ (٥) .

وتتمة لهذا الموكب المبارك من الأنبياء والمرسلين يأتى خاتمهم وإمامهم محمد ﷺ ليتوج إسلامهم بإسلامه وخضوعه لله رب العالمين - ﴿ إني أمرت

---

(١) سورة يونس آية ٨٤ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٢٦ .

(٣) سورة يونس آية ٩٠ .

(٤) سورة المائدة آية ٤٤ .

(٥) سورة آل عمران آية ٥٢ .

أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ (١) . حتى صار إسلامة ﷺ علماً على دين الله تعالى . الذى أرسل به جميع رسله عبر عصور التاريخ . وقد شهد الله تعالى وأخبر بذلك قائلاً :

ـ ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ (٢) .

وعلى هذه القراءة لجمهور القراء . يكون معنى الآية : أن الله تعالى يخبر ـ بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام . وهو إتباع الرسل فيما بعثهم الله به فى كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ ... فمن لقى الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل . كما قال تعالى ـ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (٣) .

وذكر ابن جرير أن ابن عباس رضى الله عنهما قرأ ـ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةَ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامَ ـ بكسر ـ همزة إنه ـ وفتح ـ همزة ـ أن الدين عند الله الإسلام ـ أى شهد هو والملائكة وأولوا العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام. وكلا المعنيين صحيح (٤) فى إفادة أن الدين المقبول عند الله تعالى هو دين الإسلام الذى أرسل به جميع الرسل الكرام . وختمه برسالة محمد بن عبد الله ﷺ .

---

(١) سورة الأنعام من الاية ١٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٨ ـ ١٩ .

(٣) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ٣٥٤ .

وأن كل دين غير الإسلام مرفوض . ولن يقبل عند الله تعالى .

ويؤكد هذا الفهم . ميثاق الله تعالى الذى أخذه على جميع الأنبياء والمرسلين . فى قوله سبحانه : ـ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١) .

فهذه الآية الكريمة تبين أن الله تعالى قد أخذ موثقاً رهيباً جليلاً كان هو ـ سبحانه ـ شاهده . وأشهد عليه رسله . موثقاً على كل رسول . أنه مهما آتاه الله من كتاب وحكمة ثم جاء رسول بعده مصدقاً لما معه . أن يؤمن به وينصره . ويتبع دينه . وجعل هذا عهداً بينه وبين كل رسول .

وفى ظل هذا المشهد يبدو الموكب الكريم متصلاً متسانداً مستسلماً للتوجيه العلوى ممثلاً للحقيقة الواحدة . التى شاء الله تعالى أن تقوم عليها الحياة البشرية، وبهذا الميثاق . يخلص دين الله تعالى من العصبية الذاتية : عصبية الرسول ـ أى رسول ـ الشخصية . وعصبيته لقومه . وعصبية أتباعه لنحلتهم. وعصبيتهم لأنفسهم . وعصبيتهم لقوميتهم. ويخلص الأمر كله لله تعالى فى هذا الدين الواحد. الذى تتابع به ذلك الموكب السنى الكريم (٢) .

قال على بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضى الله عنهم : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حى ليؤمن

---

(١) سورة آل عمران آية ٨١ .

(٢) تفسير فى ظلال القرآن جـ ١ صـ ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

به ولينصرنه . وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه (١) .

ومن تولى من أمم الأنبياء عن الإيمان بعد أخذ الميثاق . فأولئك هم الفاسقون . الخارجون عن الإيمان (٢) . بهذا الدين الإلهى الواحد الذى ختم برسالة سيدنا محمد ﷺ على ما أشار إليه قوله ﷺ : ـ

مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه . فجعل الناس، يطوفون ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟. قال :فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين ـ (٣)

ـ والذى نفسى بيده . لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أُرسلت به إلا كان من أهل النار (٤) .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ٣٧٨ .
(٢) تفسير القرطبى جـ ٢ صـ ١٤٧٥ .
(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل . باب خاتم النبيين جـ ١٥ صـ ٥١
(٤) السبق كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة النبى ﷺ جـ ٢ ص ١٨٦ .

المبحث العاشر

المبحث الثالث

أمثلة للمقارنة :ـ

هناك الكثير من مجالات المقارنة بين الإسلام وغيره من اليهودية والنصرانية. والتي يظهر من خلالها . صدق الإسلام وسلامته من التحريف والتبديل . مع وجوده في اليهودية والنصرانية من واقع التوراة والإنجيل .

ومن أهم هذه المجالات :

أولاً :ـ ذات الله عز وجل في التوراة :ـ

لقد أرسل الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام لبني إسرائيل برسالة صافية أساسها توحيد الله عز وجل . ووصفه بما يليق بذاته العملية من جلال وكمال . إلا أن بني إسرائيل حرفوها وبدلوها وقد طالت يد التحريف كل شيء في هذه الرسالة . حتى وصل تحريفهم إلى الطعن في ذات الله تعالى ووصفه بما لايليق بذاته سبحانه من نقص . ومن ذلك :ـ

١ :ـ وصفهم لله تعالى بالنَّصَبِ أو التعب : فورد في التوراة التي بأيديهم أن الله تعالى تعب من خلق السموات والأرض فاستراح في اليوم السابع

ففي سفر التكوين : وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً (١)

---

(١) سفر التكوين ٢ / ٢ ـ ٣ ونحوه في سفر الخروج ٣١ / ١٧ .

وقد صحح الله تعالى هذا الخطأ التوراتي . بقوله سبحانه ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (١) ـ
﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٢)

٢ : ـ وصفهم لله عز وجل بالجهل والنسيان حيث يزعم اليهود أنه يجب أن توضع له علامة ليستدل بها عليهم حيث قالوا : إن الله أمرهم قبل خروجهم من مصر أن يلطخوا أبوابهم وأعتابهم بالدم ليميزها عن أبواب غيرهم . ففى سفر الخروج : ـ فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين . فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب (٣) كما ورد فى سفر الخروج : ـ قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتنكرت عهدى (٤) لذا فهو يحتاج إلى قوس قزح ليذكرها (٥) .

وقد صحح الله تعالى هذا الزعم الخاطئ بقوله : ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (٦) .

٣ : ـ وصفهم لله عز وجل بالندم على خلق الإنسان وغيره : ـ حيث ورد فى سفر التكوين ـ ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض فحزن

---

(١) سورة ق آية ٣٨ .
(٢) سورة ق آية ١٥ .
(٣) سفر الخروج ١٢ / ٢٣ .
(٤) سفر الخروج ٦ / ٥ .
(٥) سفر التكوين ٩ / ١٣ ـ ١٩
(٦) سورة سبأ آية ٣ .

الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض . وتأسف في قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء . لأنى حزنت أنى عملتهم (١) . كما ورد فى سفر الخروج : ـ فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه (٢) وقد اعترف الله بخطئه فى هدم الهيكل . فصار يبكى ، ويمضى ثلاثة أربا ع الليل يزأر كالأسد قائلاً : تبًالي . لأنى أمرت بخراب بيتى . وإحراق الهيكل . ونهب أولادى (٣) يندم الله على تركه اليهود فى حالة التعاسة . حتى إنه يلطم ويبكى كل يوم . فتسقط من عينه دمعتان فى البحر فيسمع دويها من بدء العالم إلى نهايته . وتضطرب المياه . وترتجف الأرض فى أغلب الأوقات فتحصل الزلازل . ـ والله ليس معصوماً من الطيش كما يقول التلمود ـ لأنه حين يغضب يستولى عليه الطيش . كما حدث منه يوم أن غضب من بنى إسرائيل فى الصحراء. وحلف أن يحرمهم من الحياة الأبدية . ولكنه ندم على ذلك بعد إفاقته . ولم ينفذ ذلك القسم . لأنه عرف أنه يخالف العدالة (٤) .

وقد صحح القرآن الكريم كل هذه المزاعم الخاطئة . حول الذات العلية . بقوله سبحانه : ـ ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) ﴿ إنـا كـل شـئ خلـقـنـاه

---

(١) سفر التكوين ٦ / ٥ ـ ٧ .
(٢) سفر الخروج ٣٢ / ١٤ .
(٣) من التلمود : صـ ٢١ مجهول المؤلف والطبعة .
(٤) السابق صـ ٢٣ .
(٥) سورة الدخان آية ٣٨ ، ٣٩

بقدر ﴾ (١) - ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ (٢) - ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (٣) .

٤ : - وصفهم لله تعالى بأنه خالف بين ألسنة الناس ليتفرقوا ولايتقدموا في حياتهم : - حيث ورد في سفر التكوين : أن الأرض كلها كانت لساناً واحداً .... قال بعضهم لبعض : هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء .. فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنوا آدم يبنونهما . وقال الرب : هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم . وهذا ابتداؤهم العمل . والآن لايمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه . هلم تنزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لايسمع بعضهم لسان بعض . فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض . فكفوا عن بنيان المدينة . لذلك دعى اسمها - بابل - لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض (٤) .

وقد صحح القرآن الكريم هذه الأخطاء بقوله سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ (٥) .

فاختلاف الألسن أو اللغات . كاختلاف الناس في ألوانهم وهيئاتهم . وهو من بديع صنع الله تعالى وقدرته .

كما يقرر القرآن الكريم أن الله تعالى سخر للإنسان كل مافي هذه

---

(١) سورة القمر آية ٤٩ .

(٢) سورة السجدة آية ٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ٧٣ .

(٤) سفر التكوين ١١ / ١ - ٩ .

(٥) سورة الروم آية ٢٢ .

الحياة من مخلوقات من أجل راحة الإنسان وازدهاره. ـ ﴿ وسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يتفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

٥ : ـ وصفهم لله تعالى بأنه صارع الإنسان . وعجز عن هزيمته : حيث ورد فى سفر التكوين : ـ بقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لايقدر عليه ضرب حق فخذه .. وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر . فقال يعقوب : لا أطلقك إن لم تباركنى . فقال : ما اسمك . فقال : يعقوب فقال لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب . بل إسرائيل . لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت (٢) .

ويكفى فى إبطال هذا الزعم الخاطئ قول الله تعالى ـ ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٣) .

ذات الله تعالى فى الإنجيل :ـ

إن حديث الإنجيل ـ أو الأناجيل ـ عن الذات العلية يرتكز على القول بالتثليث بأسلوب أو بآخر .

والأبعاد الثلاثة للإله عند النصارى هى : الآب . والابن . والروح القدس .

وعن هذا يقول إنجيل متى على لسان عيسى عليه السلام : فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (٤) ـ كما

(١) سورة الجاثية آية ١٣ .
(٢) سفر التكوين ٣٢ : ٢٤ ـ ٣٠ .
(٣) سورة الحج آية ٧٤ .
(٤) انجيل متى ٢٨ / ١٩ .

يقول إنجيل يوحنا: الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال. صدقوني أني في الآب. والآب فيَّ (١) .

وهذا التثليث هو الاعتقاد السائد عند كثير من الطوائف النصرانية .

حيث يرى الملكانيون أن هناك ثلاثة أشياء : أب . وابن . وروح قدس .

وكلها لم تزل . وعيسى إله كله . وإنسان تام كله. ومع ذلك فليس أحدهما غير الآخر . والذي صلب وقتل هو الإنسان نفسه . أما الإله منه فلم ينله شئ من ذلك . وأن مريم ولدت الإله والإنسان . وأنهما معاً شئ واحد . ابن الله - تعالى الله عن كفرهم علواً كبير -

وقالت النسطورية مثل ذلك سواء بسواء . إلا أنهم قالوا : إن مريم لم تلد الإله . وإنما ولدت الإنسان . وأن الله - تعالى - لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله - تعالى الله عن كفرهم علواً كبيراً (٢) .

ولقد بذلت - وما زالت - جهود كثيرة من النصارى لتأييد الاعتقاد بالتثليث . وتبارى رجال الدين في الدفاع عن هذا الاعتقاد بالقول والتأليف لتدعيم هذه العقيدة . وملخص مايستند إليه هؤلاء في تدعيم هذا التثليث :

أنه لما وجب أن يكون الباري تعالى حياً وعالماً . وجب أن تكون له حياة وعلم . فحياته هي التي تسمى : روح القدس . وعلمه هو الذي يسمى الابن (٣) .

وحقيقة الأمر أن القول بأن المسيح عيسى إله . أو ابن إله . أو أنه الأقنوم الثاني من الثالوث . أو أن الله قد حل فيه ...

---

(١) إنجيل يوحنا ١٤ / ١٠ - ١١ وقد حرصت الترجمات الحديثة على حذف هذه الفقرة من الإنجيل باعتبارها نصاً دخيلاً . يراجع كتاب الإسلام والأديان الأخرى : أحمد عبد الوهاب صـ ٨٥ .

(٢) الفصل لابن حزم جـ ١ صـ ٤٩ .

(٣) الفصل جـ ١ صـ ٥٥ .

كل ذلك قد تسرب إلى النصرانية من الديانات البشرية الوضعية القديمة : المصرية والهندوكية والإغريقية وغيرها .

حيث إن هؤلاء جميعاً تصوروا أن آلهتهم تحل فى الإنسان . وفى غيره من الكائنات التى عبدوها وسجلوها فى معابدهم وآثارهم .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ـ وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذَلكَ قَولُهم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (١) .

ذات الله تعالى فى الإسلام :ـ

إن محور الإسلام يقوم على الاعتقاد فى إله واحد متصف بكل كمال وجلال . منزه عن كل نقص . ومنزه عن المثيل أو الشبيه ـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٢) .

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (٣) .

كما أنه سبحانه محيط بكل شئ علماً لايضل ولاينسى . ويؤكد ذلك كله قول الله تعالى ـ ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة التوبة آية ٣٠ .
(٢) سورة الشورى من الآية ١١ .
(٣) سورة الأخلاص كلها .
(٤) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

وبمقارنة ماجاء في كل من التوراة والإنجيل . مع ما جاء في القرآن الكريم بشأن ذات الله تعالى . نجد مدى السهولة واليسر في إدراك المفهوم الإسلامي لهذه الذات العلية . ومدى الصعوبة والتعسير في إدراك المفهوم غير الإسلامي لنفس الذات . وذلك لأنه يطرح تسؤلات كثيرة منها : ـ

هل الإله أسرة مكونة من ثلاثة أفراد يعتمد كل منها على الآخر ؟

وهل البنوة تعني دائماً الابن المولود للقائل ـ ابني ـ ؟ وماذا عما ورد في التوراة ؟ ـ أنتم أولاد الرب إلهكم (١) ـ وإسرائيل ابني البكر (٢) .

وهل الأبوة تعني الأب الوالد للابن ؟ وماذا عما ورد في الإنجيل من قول المسيح : ـ إني أصعد إلى أبي وأبيكم . وإلهي وإلهكم (٣) ـ ؟ وماذا يعني اللقب الكنسي: ـ أبونا ـ ؟ !

وما دامت هذه الكلمات لاتشير بالضرورة إلى علاقة الدم أو النسب بين المخلوقين بعضهم البعض . فلماذا تشير إلى علاقة الدم بين الخالق ومخلوقه ؟ !

وعلى هذا . فليس هناك معيار أفضل للتمييز بين الخالق والمخلوق . سوى ماقرره الإسلام الحنيف من أن الله تعالى إله واحد لاشريك له . الغني الحميد . المستقل استقلالاً تاماً . بينما المخلوقون يفتقرون إليه ويعتمدون عليه . ثم على بعضهم البعض . وصدق الله إذ يقول : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٤) ـ ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) سفر التثنية ١٤ / ١ .

(٢) سفر الخروج ٤ / ٢٢ .

(٣) إنجيل يوحنا ٢٠ / ١٧ .

(٤) سورة الأنبياء آية ٢٢ .

(٥) سورة المؤمنون آية ٩١ .

ثانياً : المصدر :-

إن لكل من اليهود . والنصارى . والمسلمين . مصدراً يأخذون منه تعاليم الدين . ويتمثل هذا المصدر فى :- التوراة . والإنجيل . والقرآن . وبمقارنه هذه الكتب الثلاثة . يتضح الحق والصواب . من الباطل والخطأ :

- **التوراة :** - هى كتاب اليهود المقدس . ويتألف من العهد القديم . الذى يشتمل على توراة موسى عليه السلام بأسفارها الخمسة (١) . ومزامير داود. وتعاليم رسل آخرين . ويبلغ عدد أسفار العهد القديم ٣٩ - ٥٤ مع اختلاف يسير فى ترتيبها .

وهذا العهد القديم يُكوِّن ثلاثة أرباع الكتاب المقدس تقريباً .

ويعتقد بعض المؤرخين أن أسفار العهد القديم بدأت تظهر مكتوبة فى القرن الثامن قبل الميلاد . ولكن لم يتم تجميعها فى كتاب واحد إلا فى نهاية القرن الرابع الميلادى فى أورشليم القدس .

وأقدم مخطوطة للعهد القديم هى : قمران البحر الميت يرجع تاريخها إلى مابين ٧٠سنه : ق م . وسنة ١٧٠م . وهى باللغة العبرية البائدة (٢) .

ومجمل القول : إن التوراة الموجودة حاليا . ليست هى التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام . وأسفار اليهود تثبت أن التوراة الأصلية لا وجود لها . وأن ماهو موجود منها لايوثق بصحته . ومما يؤيد ذلك : ما قاله أوبين جونسون : إن دين اليهود قد تلاشى تقريباً قبل ظهور الإسلام .

---

(١) سفر التكوين . والخروج . والتثنية . والعدد . واللاويين .

(٢) مبادئ العقيدة بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم : سعيد إسماعيل صـ ١٦ ط ٢ دار المجتمع للنشر والتوزيع بالمدينة المنورة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

وما قاله جيمس هنرى برست :إن التوراة الحالية تضم اقتباسات من الأدب الفرعونى القديم وإن مزامير داود أخذ الكثير منها من نشيد إخناتون . إن فى سفر الأمثال الكثير مما كتبه الحكيم المصرى مينتموبى - فى وصاياه (١) .

وما جاء فى سفر الملوك: - إن بنى إسرائيل تركوا شريعة الرب . وصنعوا الشر . وبنوا لأنفسهم مرتفعات وأنصاباً من الشرك (٢) -

- إن شوشق ملك مصر نهب خزائن بيت الرب . وسلب التوراة - (٣) .

- وفى سفر الملوك الرابع : - كانت التوراة مفقودة فى أيام شوشيبا الملك. وأن حلقياء الكاهن لم يجدها - (٤) وفيه أيضاً :أن ملوك بابل نهبوا أورشليم وأحرقوا الهيكل والتوراة - (٥) .

وصدق الله العظيم حين قال فى تحديه لليهود - ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٦)

ولكن هيهات . هيهات . الإيتان بها ! !

ومما سبق ذكره وبيانه عن التوراة يتأكد لدينا أن التوراة التى بأيدى اليهود الآن ليس لها سند يمكن الاعتماد عليه فى صحة المعلومات الواردة فيها .

---

(١) معاول الهدم والتدمير . إبراهيم الجبهان صـ ٩١ .

(٢) سفر الملوك الثالث صـ ٤ .

(٣) السابق صـ ١٤ و ٢٥ و ٢٦ .

(٤) صـ ٢٢ .

(٥) صـ ٢٤ و ٢٥ وراجع معاول الهدم صـ ٩١ .

(٦) سورة آل عمران من الآية : ٩٣ .

ولهذا لايمكن لليهود أن ينفوا إمكانية التحريف فيها . خاصة وأنهم انحرفوا انحرافات كثيرة وخطيرة فى الدين . وكفر كثير منهم . وهذا ظاهر واضح لكل من يطالع تاريخهم من واقع كتابهم المقدس : ـ العهد القديم .

الإنجيل أو العهد الجديد : ـ وهو يتكون من إنجيل متى . ومرقس . ولوقا . ويوحنا . وأعمال الرسل . وعدد من الرسائل . ورؤيا يوحنا وجميع أسفارها سبعة وعشرون سفراً .

وتشمل الرسائل : كل ماكتبه بولس الرسول . إلى أهالى نواحٍ عديدة . يقول إنه لم يتعلمها من أحد . ولكن تلقاها وحياً مباشراً من المسيح عقب صلبه وبعثه (١) .

وهذه الرسائل البولسيه تمثل ثلث العهد الجديد تقريباً .

ومكان الأناجيل فى النصرانية مكان القطب والعماد (٢) .

وإذا كانت شخصية المسيح . وما أحاطوها به من أفكار هى شعار المسيحية . فإن هذه الأناجيل هى المشتملة على أخبار تلك الشخصية : من وقت الحمل إلى وقت صلبه فى اعتقادهم . وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال . ثم رفعه بعد أربعين . ليله .

وهى بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح أو بنوته . والصلب والفداء . أى أنها تشتمل على لب المسيحية فى نظرهم بعد المسيح .

---

(١) إلى أهل غلاطية ١ / ١١ ـ ١٢ .

(٢) المقصود بها أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا . فقط ولا يعتبرون إنجيل برنابا .

وهذه الأناجيل الأربعة هى التى تعترف بها الكنائس . وتقرها الفرق المسيحية وتأخذ بها . ولكن التاريخ يروى لنا أنه كانت فى العصور الغابرة أناجيل أخرى قد أخذت بها فرق قديمة وراجت عندها . ولم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها ...

ولقد كثرت الأناجيل كثرة هائلة . وأجمع على ذلك مؤرخوا النصرانية .

ثم أرادت الكنيسة فى آخر القرن الثانى الميلادى . أو أوائل الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة - فى اعتقادها - فاختارت هذه الأربعة من الأناجيل الرائجة . واعتبرتها واجبة التسليم . فصارت هذه الأناجيل الأربعة هى المعتبرة دون سواها (١) .

تدوين العهد الجديد :-

ظلت تعاليم الإنجيل وقصصه شفوية حتى عام ٧٠ - م تقريباً . ومعظم نصوص العهد الجديد لم يتم كتابتها إلا حوالى سنه ١٤٠م ولعل رسائل بولس الرسول هى أقدم ماتم كتابته من نصوص العهد الجديد (٢) .

كما أن بعض أجزاء العهد الجديد بقيت غير رسمية حتى القرن الخامس الميلادى . ومنذ بداية القرن الخامس كانت النسخة الرسمية للكتاب المقدس باللغة اللاتينية وتسمى - فولجت - والتى تم إعدادها مابين سنة ٣٨٢م - ٤٠٤م . وقد اعتمدت هذه النسخة على العبرية فى ترجمة العهد القديم . وعلى الإغريقية فى ترجمة العهد الجديد .

---

(١) محاضرات فى النصرانية : للشيخ أبى زهرة صـ ٤٣ ط ٤ دار الفكر العربى بالقاهرة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة : موريس بوكاى صـ ٧٥ ط ٤ دار المعارف بمصر ١٩٧٧م .

أو بعبارة أخرى : أصل الكتاب المقدس الحالى هو ترجمة من اللغة التى جاءت بها التعاليم . وليس هو نفس اللغة التى جاءت بها التعاليم .

ومنذ أن بدأت الترجمات الثانوية فإن التحسينات عليها لم تتوقف حتى اليوم (١) .

القرآن الكريم :ـ

هو اللفظ العربى المنزل على نبينا محمد ﷺ المتعبد بتلاوته المتحدى . بأقصر سورة منه المنقول بالتواتر المبدوء بالفاتحة المختوم بسورة الناس .

ولأن سيدنا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين : فقد جاءت رسالته خاتمة الرسالات . وكتابه خاتم الكتب . لأن الرسالة والكتاب لاتنزلان إلا على نبى مرسل . ويختم النبوة . ختمت الرسالات . وتوقف نزول الكتب .

وقد هيأ الله تعالى للقرآن الكريم ـ باعتباره آخر الكتب السماوية ـ أسباباً أدت إلى حفظه من الضياع والتحريف الذى أصاب الكتب السابقة من أهم هذه الأسباب :ـ

١ ـ اعتماد الصحابة الكرام على ذاكرتهم فى حفظ القرآن الكريم . لأنهم كانوا أميين لايقراؤون ولا يكتبون إلا القليل منهم . من هنا عولوا على حافظتهم فى مذاكرة القرآن الكريم .

وحتى يعاضد المكتوب المحفوظ . فقد حض النبى ﷺ على كتابة القرآن

---

(١) مبادئ العقيدة : د سعيد اسماعيل صـ ١٧ .

فى السطور . واتخذ كتاباً لكتابة القرآن وتدوينه . كعمر وعثمان وزيد وغيرهم . كما كان بعض الصحابة يكتبون لأنفسهم مايسمعون من القرآن . كعبد الله بن عمرو بن العاص .

وزيادة فى التثبت . وحتى لايختلط القرآن بالسنة . نهى النبى ﷺ عن كتابة غير القرآن ـ لاتكتبوا عنى . ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه (١) ـ

٢ كان الصحابة من أمة يضرب بها المثل فى قوة الذاكرة . وسرعة البديهة . وصفاء الذهن . وجودة القريحة . وكثرة الحفظ . ولقد كان الواحد منهم يحفظ مايسمعه لأول مرة . مهما كثر . ومهما طال عليه الأمد .

حتى كانت رؤوسهم دواوين شعرهم . وسجل أنسابهم . ومرجع وقائع أيامهم . ولما جاء الإسلام نمى هذه القوى والمواهب . وأفادها من نوره وبيانه .

٣ ـ بساطة الأمة العربية . واقتصارها على ضروريات الحياة . دون ميل إلى الترف . ومثل هذا : يوفر على الإنسان الجهد والوقت . ولهذا أكبر الأثر فى صفاء الفكر . وقوة الذاكرة . وسرعة البديهة .

٤ ـ الحب الصادق لله ولرسوله حتى احتل مكان العقيدة فيهم .

ومعلوم فى علم النفس :أن الحب إذا صدق وتمكن من القلب حمل المحب على ترسم خطى وآثار محبوبه . والتلذذ بحديثه .. ووعى كل مايصدر عنه ويبدر منه .

---

(١) صحيح مسلم جـ ٨ صـ ٢٢٩ .

من هنا كان حب الصحابة لله ولرسوله من أقوى الدلائل على حفظ الكتاب والسنة على حد قول القائل :

لها أحاديث من نكراك تشغلها .. عن الشراب وتلهيها عن الزاد

لها بوجهك نور يستضاء به .. ومن حديثك فى أعقابها حاد

إذا شكت من كلال السيد واعدها .. روح القدوم فتحيا عند ميعاد .

٥ ـ الترغيب فى الإقبال على الكتاب والسنة علماً وعملاً . حفظاً وفهماً . تعليماً وتعلماً ونشراً . والترهيب من الإعراض عنهما وإهمالهما . حتى قدم الله تعالى تلاوة القرآن الكريم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهما من أهم أركان الإسلام . ليشير إلى أهمية هذه التلاوة . فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (١) .

وقوله ﷺ : خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٢) ؛ وحتى هدد وتوعد من يهجر القرآن ويكتمه فى قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣) ـ وقوله ﷺ مامن أمرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقى الله يوم القيامة أجذم ـ (٤) .

---

(١) سورة فاطر آية ٢٩ ـ ٣٠ .

(٢) صحيح البخارى جـ ٦ صـ ١٠٨ والترمذى جـ ٥ صـ ١٧٣ .

(٣) سورة البقرة آية ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٤) أبو داود جـ ٣ صـ ٣٢١ .

هذه النصوص وأمثالها كثير ـ مما يحفزالهمم . ويحرك العزائم إلى حفظ القرآن الكريم . واستظهاره والمداومة على تلاوته . مخافة الوقوع فى وعيد نسيانه .

كما أن حفظ بعضه إلزاماً على المسلمين مهما كانت لغاتهم . وحفظه كله وتلاوته مجوداً مع الاستمرار على ذلك . فضيلة كبرى يحث عليها الإسلام فى القرآن والسنة . كما سبق عن الترغيب فى تلاوته تعلماً وتعليماً .

٦ ـ ارتباط كثير من نصوص القرآن والسنة بوقائع وجوادث وأسئلة . من شأنها إثارة الاهتمام . وتنبيه الأذهان . إلى قضاء الله ورسوله فيها . وبذلك يتمكن الوحى الإلهى من النفوس . ويرسخ فى الأذهان على مر الزمان .

وقد قرر علماء النفس أن ارتباط المعلومات بأمور مقارنة لها فى الفكر . تجعلها أبقى على مر الزمان . وأثبت فى النفس . وأرسخ فى الذهن ..

ولذا فقد اقتضت حكمة الله تعالى نزول القرآن الكريم منجماً خلال فترة ثلاثة وعشرين عاماً. وتم حفظه فى الصدور . وكتابته فى السطور منذ عهد النبى ﷺ وخلفائه الراشدين .

٧ ـ إعجاز القرآن الكريم المتجدد على مر الأيام . وقدرته على مخاطبة الإنسان فى كل زمان ومكان بما يتناسب مع ظروفه دائمة التجدد . يشوق السامع . ويبهر المتأمل . ومن شأن ذلك : أن يتقرر فى حافظة من شاهده . وأن يتركز فى فؤاد من تأمله فرداً كان أو أمة .

٨ ـ تواتر القرآن الكريم فى الأمة جيلاً عن جيل يستحيل توطؤهم على

الكذب . حتى إن ما ورد من القرآن بطريق الآحاد لايعتبر قرآناً بإجماع الأمة (١) .

هذه هى بعض الأسباب التى أدت إلى حفظ القرآن الكريم فى الصدور والسطور . وقد هيأتها العناية الإلهية لهذا الكتاب دون سواه من الكتب السماوية الأخرى . تحقيقاً لقول الله تعالى ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢) .

وبهذا يتبين أن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز المعصوم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه .

أما الكتاب المقدس ممثلاً فى التوراة والإنجيل . فهو ليس كلام الله ، ولكنه فى الغالب ترجمة مكتوبة للغة منقرضه لتعاليم دينية يتداولها اليهود والنصارى الأوائل بالمشافهة دون التدوين .

كما يتبين أيضاً : أن بعض أجزاء الكتاب المقدس لايزال مثار خلاف بين الطوائف النصرانية المختلفة .

ومثال ذلك : شرعية ـ الأبو كريفا (٣) ـ

فهناك من النصارى من يرى أنها ليست شرعية . ومنهم من يرى إنكارها كلية . كما يفعل المتطهرون .

من هنا كثرت ترجمات الكتاب المقدس حتى وصلت فى عام ١٦١١م إلى أكثر من خمسين ترجمة . بالانجليزية وحدها ؟ !

---

(١) فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت : عبد العلى محمد بن نظام الدين الأنصارى جـ ٢ صـ ٢٨ ط المطبعة الأميرية . ببولاق ١٣٢٤ هـ .

(٢) سورة الحجر آية ٩ .

(٣) مجموعة أسفار من العهد القديم .

فالأمر إذاً : ليس مشكلة الترجمة وصعوباتها فقط . ولكنه أيضاً قضية الانتماء إلى طائفة دون أخرى . تلك التى تتسبب فى الإضافة أو الإلغاء وقد تبلغ الإضافة أو الإلغاء درجة خطيرة . مثلما جاء فى رسالة يوحنا الأولى (١) : ـ وهكذا نحن لدينا ثلاثة براهين فى السماء : الأب . والكلمة ـ عيسى ـ والخيال المقدس ـ روح القدس ـ

وكذلك بالنسبة للفقرة (٢) : ـ فقال فيلبس : إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز . فأجاب : وقال : أنا أو من أن يسوع المسيح هو ابن الله ـ

هذه الفقرات وأمثالها كثير ـ موجودة فى بعض النسخ ـ وأزيلت من البعض الآخر خاصة النسخ الحديثة للكتاب المقدس . باعتبارها نصاً دخيلاً أقحمه كاتبٌ مجهول منذ قرون (٣) .

أما التضارب والتناقض فى الكتاب المقدس فهو كثير جداً ومن أمثلته : ـ

١ : فى التوراة :أن اسماعيل هو الابن الأكبر لإبراهيم ـ عليه السلام ـ (٤) .

وفى نفس السفر . ورد قول الرب لإبراهيم ـ خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق (٥) ـ فكيف يكون إسحاق هو الابن الوحيد لإبراهيم . ولايزال إسماعيل على قيد الحياة . وهو الابن الأكبر ؟ !

٢ : ـ تصف التوراة الرب بأنه ـ نصيح إسرائيل لايكذب ولايندم .لأنه

---

(١) الإصحاح ٥ فقرة ٧ عن نسخة نلسون بالانجليزية سنه ١٩٧٠م .

(٢) أعمال الرسل ٨ : ٣٧ .

(٣) الإسلام والأديان الأخرى : لواء أحمد عبد الوهاب صـ ٨٥ وما بعدها .

(٤) سفر التكوين إصحاح ١٦ فقرة ١٥ و ١٧ ـ ١٩ .

(٥) السابق إصحاح ٢٢ فقرة ٢ .

ليس إنساناً ليندم - (١) وفى نفس السفر فى موضع آخر : يقول :الرب يندم إذا أخطأ ويغير رأيه كأنه لايعلم ماذا سيحصل منذ البداية (٢) .

٣ : عند الرجوع إلى نسب المسيح عليه السلام خاصة إنجيلى متى ولوقا (٣) يوجد عدد من التناقضات . مثل :

أ ـ عدد الأجيال بين الخليل إبراهيم ويوسف النجار زوج مريم أم المسيح - حسبما ورد فى الكتاب المقدس - يختلف بين الإنجيلين بنسبة تتراوح بين ٣٨ أو ٥٤ . أو ٥٦ حسب النسخ التى يرجع إليها القارئ .

ب : - فى إنجيل متى الإصحاح : ١ الفقرة : ١٦ يذكر أن يوسف النجار هو ابن يعقوب . بينما يذكر إنجيل لوقا الإصحاح ٣ فقرة ٢٣ أنه ابن هالى.

ج : - فى إنجيل متى إصحاح ١ فقرة ٧ يذكر أن يوسف النجار من نسل سليمان بن داود عليهما السلام .

بينما يذكر إنجيل لوقا إصحاح ٣ فقرة ٣١ أن يوسف النجار من نسل ناثان داود .

د : - هناك كثير من الأسماء الأخرى التى لايمكن مقارنتها - فى الإنجيلين .

فالاختلافات تصل إلى درجة التناقض والتعارض حتى بين كُتَّاب الأناجيل الأربعة . مع أنه من المفترض أنهم يروون التعاليم والأحداث

---

(١) صموئيل الأول ١٥ : ٢٩ .

(٢) صموئيل الأول ١٥ :-١٠ وصموئيل الثانى ٢٤ : ١٦ وعاموس ٧ : ١٣ .

(٣) إنجيل متى إصحاح ١ فقرة ١ - ١٧ وإنجيل لوقا إصحاح ٣ : فقرة ٢٣ - ٣٨

كشهود عيان . وهذا التعارض والتناقض إن دل . فإنما يدل على :

أنهم ليسوا شهود عيان .

وأنهم اعتمدوا على مصادر غير موثوق بصحتها .

وأن التحريف محقق فى كتاباتهم .

وكل هذا يؤكد عدم الثقة فى هذه الأناجيل خاصة . وفى الكتاب المقدس عامة .

ويعطى الحق لكل إنسان أن يشك ويشكك فى مثل هذا الكتاب الذى يمكن بكل سهولة الإضافة إلى كلماته والحذف منها بحجة تحسين الترجمة .

وهذا الحذف والإضافة إذا كان لايجوز فى دستور بشرى . فكيف يجوز فى كتاب يفترض فيه أن يكون دستوراً إلهياً ؟ ! ! .

ثالثاً : ـ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام : ـ

الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . هم خيرة الله من خلقه وهم المصطفون من عباد الله الأخيار . الدعاة إلى الخير والهدى . الذين يخرجون الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم . وهم المثل الأعلى . والقدوة المثلى لكل البشر فى كل زمان ومكان وشأن . وهم معصومون من الكبائر . منزهون عن النقائص موصوفون بكل كمال يليق بهم وبالوحى المنزل عليهم .

هذه حقيقتهم . وهذا حقهم من وجهة النظر الإسلامية الإجمالية :

الأنبياء والمرسلون فى التوراة : ـ

إن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد . يتحدث عن عقيدة اليهود والنصارى فى الأنبياء والمرسلين . والتى ينبئ عنها واقعهم المنحرف ـ اعتقاداً وسلوكاً ـ الذى سجلوه فى التوراة والإنجيل . يلصق بصفوة خلق الله كثيراً من الجرائم التى تتنافى مع أبسط القيم الإنسانية . ومادونوا ذلك إلا ليستمرئوا الفساد على مر أجيالهم . وحتى يضفوا على ذلك صفة الشرعية بارتكابه فى كل زمان ومكان مادام صدر مثله عن صفوة بنى آدم من الأنبياء والمرسلين . ومما ورد عن الأنبياء والمرسلين فى كتابهم المقدس من أكاذيب وافتراءات : ـ

١ : ـ نوح عليه السلام : ـ زعموا أنه شرب الخمر . فسكر وتعرى من ثيابه . جاء فى سفر التكوين : ـ وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً . وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه . فأبصر حام أبو كنعان عورة

أبيه وأخبر أخويه خارجاً . فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما . ووجهها إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره علم مافعل به ابنه الصغير . فقال : ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته (١) .

٢ : ـ لوط عليه السلام : ـ جعل منه الكتاب المقدس سكراناً تسقيه ابنتاه خمراً وتنامان معه حتى حملتا منه . فقد جاء فى التوراة : ـ وصعد لوط من صوغر . وسكن فى الجبل . وابنتاه معه . لأنه خاف أن يسكن فى صوغر . فسكن فى المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ . وليس فى الأرض رجل يدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحى من أبينا نسلاً .

فسقتا آباهما خمراً فى تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجت مع أبيها . ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها. وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى . نسقيه حمراً الليلة أيضاً . فادخلى فاضطجعى معه. فسقتا آباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت . ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. وولدت الكبرى ابنا ودعت اسمه موآب . وهو أبو الموآبيين إلى يومنا هذا وولدت الصغرى أيضاً ولداً ودعت اسمه عمان . فهو أبو العمانيين إلى اليوم (٢) .

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٩ فقرة ٢٠ ـ ٢٥ .

(٢) سفر التكوين الإصحاح ١٩ فقرة ٣٠ ـ ٣٧ .

هذا نص من نصوص التوراة التى بأيدى اليهود اليوم منه تقشعر الأبدان . ويفزع من هول مافيه كل عاقل . وينأى بلوط عليه السلام عن مرتبة النبوة والرسالة لأنه يصور لوطاً عليه السلام سكيراً. زانياً مع ابنتيه . وهذا يتنافى تماماً مع عصمة الأنبياء والمرسلين .

٣ :ـ إبراهيم عليه السلام : نعتته التوراة بالكذب . مع أن الكذب من أخطر العوامل التى تخدش مقام النبوة والرسالة . فتقول عنه التوراة : إنه كذب على غلمانه . وابنه بدون سبب مقبول (١) .

٤ :ـ يعقوب عليه السلام :ـ تصفه التوراة بكثير من الأمور التى لاتليق بمقام نبوته ورسالته . كالتآمر مع والدته ليخدع أباه إسحاق عليه السلام ليحظى بالبركة التى وعدها والده لأخيه عيسو (٢) .

وكتصويره شريراً يدبر خدعة قذرة للسطو على مال خاله ووالد زوجتيه (٣) .

ويؤلف كذبة على ربه ليخدع بها زوجتيه فتكرهان والديهما بسببها :ـ بل إن واحدة من البنات سرقت أصنام أبيها . وخدع يعقوب قلب لابان الآرامى ـ خاله ـ إذ لم يخبره بأنه هارب فهرب هو وكل ما كان له .... (٤) .

ومما يدهش له أن الكتاب المقدس يصور الله راضياً بكل ماصنع يعقوب إذ يقول :ـ وقال الرب ليعقوب ارجع إلى أرض آبائك وإلى عشيرتك فأكون معك (٥) .

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٢٢ فقرة ٥ ـ ٨ .
(٢) سفر التكوين الإصحاح ٢٧ فقرة ١ ـ ٢١ .
(٣) سفر التكوين الإصحاح ٣٠ فقرة ٣١ ـ ٤٣ .
(٤) سفر التكوين الإصحاح ٣١ فقرة ٤ ـ ٢٠ .
(٥) سفر التكوين الإصحاح ٣١ فقرة ٣ .

ويأمر خال يعقوب بعدم التعرض له إذ - أتى الله إلى لابان الآرامى فى حلم الليل وقال له احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر - (١)

٥ - داود عليه السلام - يصوره الكتاب المقدس بأنه زان وخائن وقاتل حيث زنا بامرأة جنديه أوريا الحثى . ثم تآمر عليه وقتله . فيقول الكتاب المقدس - وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل داود وسأل عن المرأة . فقال واحد · أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى ؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها . ثم رجعت إلى بيتها . وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى - (٢) .

ويسوق الكتاب المقدس محاولة داود للتخلص من أوريا الحثى زوج المرأة وإرساله إلى الحرب ليقتل فيكتب إلى قائده يوآب : - اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت (٣) . فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها . ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا . وأما الأمر الذى فعل داود فقبح فى عين الرب (٤)

ثم يتابع السفر سرد معاتبة الرب لداود . وإماتة الله للولد الذى جاءت به

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٣١ فقرة ٢٤

(٢) سفر صموئيل الثانى الإصحاح ١١ فقرة ٢ - ٥

(٣) السابق الإصحاح ١١ فقره ٢٥

(٤) السابق الإصحاح ١١ فقرة ٢٦ و ٢٧

المرأة ثم توبه داود وصيامه ومع هذا يقرر الكتاب المقدس ر صيام ... و
عن الطعام والشراب ليس علامة للتوبة وطلبا للمغفرة ولكن أملا في شفاء
ابنه من زوجة أوريا - فلما مات الولد قام داود عن الأرض واغتسل وادهن
وبدل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد ثم جاء إلى بيته وطلب فوضعوا له خبزا
فأكل - ولما استغرب عبيده من فعله أجاب - لما كان الولد حيا صمت وبكيت
ولما مات الولد . قمت وأكلت خبزاً . والآن قد مات فلماذا أصوم هل أقدر
أن أرده بعد ؟ (١)

٦ - موسى وهارون عليهما السلام - وصفهما الكتاب المقدس بالخيانة
لله تعالى . وكان هذا الاتهام الخطير هو آخر وحي تلقاه موسى قبل موته
فقد كلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً -أصعد إلى جبل عباريم
.. وانظر أرض كنعان . ومت في الجبل الذى تصعد إليه وانضم إلى قومك
. كما مات أخوك هارون في جبل هور . وضم إلى قومه لأنكما خنتماني في
وسط بني إسرائيل .. إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل (٢)

٧ - سليمان عليه السلام - يصفه الكتاب المقدس بالشهوانية والكفر
بالله في أواخر أيامه فتقول الأسفار - وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة
مع بنت فرعون . موآبيات . وعمونيات وأدوميات من الأمم الذين قال عنهم
الرب لبني إسرائيل لاتدخلون إليهم ولايدخلون إليكم فالتصق سليمان
بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائه من

---

(١) السابق الإصحاح ١٢ فقرة ١٤ - ١٦
(٢) سفر التثنية الإصحاح ٣٢ فقرة ٤٨ - ٥١

السرارى . فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخته أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب. فذهب سليمان وراء عشتورت الألهة الصيدونيين . وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشرفى عينى الرب . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن . فغضب الرب على سليمان (١) .

الأنبياء والمرسلون فى الإنجيل :ـ

إن ما ورد فى الإنجيل عن الأنبياء والمرسلين لايقل بشاعة وشناعة عما ورد فى التوراة . بل إن الإنجيل والنصارى يمتدون بصلة وثيقة إلى التوراة واليهود . فجاء الإنجيل بمثلما جاء فى التوراة . وقال النصارى بمثل ماقال اليهود . فليس فى النصرانية اعتقاد بعصمة الأنبياء والمرسلين إلا فى حق عيسى عليه السلام . بناء على الاعتقاد فى ألوهيته .

وقد وصف الأنجيل أنبياء بنى إسرائيل قبل المسيح عليه السلام باللصوصية . فجاء فى إنجيل يوحنا على لسان المسيح :ـ قال لهم يسوع أيضاً الحق أقول لكم إنى أنا باب الخراف . جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص . ولكن الخراف لم تسمع لهم . أنا هو الباب إن دخل بى أحد فيخلص . أنا هو الراعى الصالح (٢) .

هذا هو موقف الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد من الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه . فماذا موقف الإسلام والمسلمين ؟ .

---

(١) سفر الملوك الأول الإصحاح ١١ فقرة ١ ـ ٩ .

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٠ فقرة ٧ ـ ١١ .

الأنبياء والمرسلون في القرآن الكريم :ـ

إن موقف القرآن الكريم من الأنبياء والمرسلين يختلف تماماً عما جاء في التوراة والإنجيل . ويأتي هذا الموقف القرآني الكريم انطلاقاً من المبدأ الذي يؤكد أن الأنبياء والمرسلين هم صفوة الله من خلقه . هداة إلى دينه وشرعه . قدوة لأقوامهم معصومون من الزلل والخطل . يقول عنهم القرآن الكريم :ـ

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (١) .

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (٢) ـ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (٣) .

هذا هو موقف القرآن الكريم . وتلك هي عقيدة المسلمين في الأنبياء والمرسلين . ومن ثم فالإسلام ينكر ويستنكر كل الخطايا والسقطات التي سطرت عنهم في الكتاب المقدس . يقول الشيخ محمد رشيد رضا :ـ إذا كان إرسال الأنبياء إلى البشر لأجل هدايتهم إلى تزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم . ويستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا في نشأة أخرى . فلا يتم هذا الغرض . ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلاً لأن يقتدى بهم في أعمالهم وسيرتهم . والتزام الشرائع

---

(١) سورة مريم آية ٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٧٣ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ٩٠ .

والآداب التى يبلغونها عن ربهم . ومن ثم قال علماؤنا بوجوب عصمة الأنبياء من المعاصى والرذائل . وبالغ بعضهم فيها حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب الصغائر كالكبائر قبل النبوة وبعدها . وخص بعضهم العصمة من الصغائر بما كان باعثه الخسة والدناءة .

وأهل الكتاب لايقولون بهذه العصمة . وكتبهم المقدسة ترمى بعض كبار الأنبياء بكبائر الفواحش المنافية لحسن الأسوة بل المجرئة على الشرور والمفاسد . والنصارى منهم يجعلون معاصى الأنبياء دليلاً على عقيدتهم وهى أن المسيح هو المعصوم وحده لأنه رب وإله . ولأنه هو المخلص للناس من العقاب على الخطيئة . اللازمة لكل ذرية آدم بالوراثة له . وأنه لاشفيع ولا مخلص لهم غيره . لأن المخطئ لايخلص المخطئين وهو منهم .

وهذه العقيدة وثنية مخالفة لدين الأنبياء وكتبهم . وللعقل . ومطابقة للأديان الوثنية الهندية وغيرها (١) .

وقد تحدث القرآن الكريم عن الأنبياء والمرسلين حديثا مجملاً وآخر مفصلاً .

ففى حديثه عن الأنبياء والمرسلين بإجمال بقول الله تعالى : -

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي

---

(١) الوحى المحمدى : محمد رشيد رضا صـ ٢٨ ط القاهرة ١٣٥٢هـ .

الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

وفى حديثه المفصل عن كل نبى يقول سبحانه : ـ

١ : ـ عن نوح عليه السلام : ـ ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ ﴾ (٢) .

فهو من خلال هذه الآية الكريمة : قوى الإيمان . صادق العزم . لايخشى فى الله لومة لائم . ثم هو يعوذ بالله من الجهل والذنب حتى ولو كان هذا الذنب مجرد التعبير المؤدب عن حنان الأبوة تجاه ابنه الكافر ـ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) ولهذا استحق أن يكون من عباد الله الشاكرين المحسنين المؤمنين ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (٤) . ـ ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) .

٢ : ـ لوط عليه السلام : ـ ذكر القرآن الكريم أنه كان ممن فضلهم الله ﴿ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧) ـ كما

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٣ ـ ٨٧ .
(٢) سورة يونس آية ٧١ .
(٣) سورة هود آية ٧١ .
(٤) سورة الإسراء آية ٣ .
(٥) سورة الصافات آية ٨٠ ـ ٨١ .
(٦) سورة الأنعام آية ٨٦ .
(٧) سورة الأنبياء آية ٧٥ .

وصف على لسان أعدائه بالطهر والعفاف ـ ﴿ فما كان جواب قَوْمه إلاَّ أن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (١) .

٣ : ـ الخليل إبراهيم عليه السلام : ـ يقول عنه القرآن الكريم : ـ ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) ـ ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ (٣) ـ ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ (٤) ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (٥).

٤ : ـ يعقوب عليه السلام : ـ تحدث القرآن الكريم عن يعقوب وأبيه إسحاق وجده الخليل عليهم الصلاة والسلام فقال ـ ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (٦) .

٥ : ـ داود عليه السلام : ـ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ (٧) ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ (٨) .

٦ : ـ موسى وهارون عليهما السلام : ـ ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ

---

(١) سورة النمل آية ٥٦ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٠ ـ ١٢٢ .

(٣) سورة النجم آية ٣٧ .

(٤) سورة مريم آية ٤١ .

(٥) سورة التوبة آية ١١٤ .

(٦) سورة ص آية ٤٥ ـ ٤٧ .

(٧) سورة سبأ آية ١٠ .

(٨) سورة ص آية ١٧ ـ ٢٠ .

كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ (١) .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

٧ : ـ سليمان عليه السلام : ـ يصفه القرآن الكريم بقوله : ـ ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣) ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ (٤).

وإذا كان القرآن الكريم يرفض كل ما ألصق بالأنبياء والمرسلين من زيف فى الكتاب المقدس ، فإن العقل السليم . والفكر المستقيم يرفضانه كذلك رفضاً تاماً لأنه يخل بمقام النبوة والرسالة التى امتن الله بها على صفوة خلق الله أجمعين . ولمعرفة مدى خطورة ما ورد فى الكتاب المقدس بشأن الأنبياء والمرسلين .

تخيل أنك فى مكان هؤلاء المصطفين الأخيار . بل فى مكانة أقل داعية من الدعاة المعاصرين . وضبطك مدعووك أو بعضهم فى وضع من تلك

---

(١) سورة مريم آية ٥١ ـ ٥٣ .
(٢) سورة الصافات آية ١١٤ ـ ١٢٢ .
(٣) سورة ص آية ٣٠ .
(٤) سورة البقرة آية ١٠٢ .

الأوضاع التى وصف بها الكتاب المقدس أنبياء الله ورسله . خاصة لوط وداود عليهما السلام . ثم نشروا هذا الوضع على الملأ .

فماذا يكون وقع ذلك على نفسك وعلى دعوتك . وعلى أهلك وعشيرتك؟ !

وماذا ستكون مشاعر مدعو يك تجاهك ؟ !

ألا تعتقد أن الله تعالى قادر على اختيار أنبياء ورسل أفضل ممن وصفهم الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد . بما يندى له جبين من يشعر بأقل درجة من الكرامة والإنسانية ؟ !

بلى ! ! إن الله على كل شئ قدير .

وكان الله على كل شئ مقتدراً .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أ . د . سعيد محمد اسماعيل الصاوى

المراجع :ـ

ـ **القرآن الكريم :**

١ : ـ **الأديان القديمة فى الشرق** : د. رؤوف شلبى ط٢ دار الشروق بالقاهرة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٢ : ـ **أساس البلاغة** : الزمخشرى . ط دار المعرفة بيروت ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

٣ ـ **الإسلام وحاجة الإنسانية إليه** : د . محمد يوسف موسى . ط مكتبة الفلاح بالكويت ١٩٨٠م .

٤ : ـ **الإسلام بين الأديان** : د . محمد كمال جعفر . ط مكتبة دار العلوم بالقاهرة ١٩٧٧م .

٥ . ـ **الإسلام والأديان الأخرى** . أحمد عبد الوهاب ط مكتبة التراث الإسلامى بالقاهرة ١٩٩٢م .

٦ . ـ **الله جل جلاله** : العقاد . ط دار الهلال بالقاهرة العدد ٢٠٧ سنة ١٩٦٦م

٧ : ـ **إن الدين عند الله الإسلام** : على عبد العظيم : ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م .

٨ . ـ **الإنسان فى ظل الأديان** : د عمارة نجيب . ط المكتبة التوفيقية القاهرة ١٩٧٧م

٩ : ـ **تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق** . د عبد المنعم المليجى دار المعارف بمصر ١٩٥٥م .

١٠ ـ **التعريفات** : **الجرجاني** . ط الحلبي بمصر بدون تاريخ .

١١ : ـ **تفسير ابن كثير** . ط مكتبة التراث الإسلامي حلب ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م .

١٢ ـ **تفسير أبي السعود** . ط دار المصحف بالقاهرة بدون تاريخ .

١٣ ـ **تفسير القرطبي** . ط دار الفتح بالأسكندرية بدون تاريخ .

١٤ : ـ **تفسير النسفي** . ط دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ .

١٥ . ـ **تفسير الطبري** . ط دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

١٦ ـ **تفسير الرازي** . ط دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

١٧ : ـ **التفكير الديني في العالم قبل الإسلام** : د . أورانج كاي رحمات داتو . ترجمة د . رؤوف شلبي ط دار الثقافة بالدوحة بدون تاريخ .

١٨ : ـ **الثقافة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة** . د سعيد الصاوي

١٩ : ـ **الجامع الصحيح** :**الإمام الترمذي** . ط دار الكتب الجامعية بيروت ١٤٠٨هـ .

٢٠ ـ **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** : آدم متز ترجمة د محمد عبد الهادي أبو ريده ط ٤ مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٧م .

٢١ ـ **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة** :موريس بوكاي ط دار المعارف بمصر ١٩٧٧م.

٢٢ : ـ **الدين** : د . محمد عبد الله دراز ط مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٦٩م .

٢٣ . ـ **الدين** : د . محمود بركات ط القاهرة ١٩٨٩م .

٢٤ - **الرد الجميل** :حجة الإسلام أبو حامد الغزالي تحقيق عبد العزيز عبد الحق حلمي . ط القاهرة بدون تاريخ .

٢٥ : - **سنن أبي داود** . ط دار الحديث بالقاهرة بدون تاريخ .

٢٦ : - **السيرة النبوية** : ابن هشام . ط المكتبة التوفيقية بالقاهرة بدون تاريخ .

٢٧ : - **صحيح البخارى** . ط الحلبى بمصر ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٨ : - **صحيح مسلم** . ط المكتبة التجارية بمصر بدون تاريخ .

٢٩ : - **الطوطمية** : د . على عبد الواحد وافى ط دار المعارف بمصر - سلسلة إقرأ رقم ١٩٤ .

٣٠ : - **ظهر الإسلام** : أحمد أمين . ط ٥ النهضة المصرية بدون تاريخ .

٣١ : - **علم الاجتماع الدينى** : أحمد الخشاب . ط دار الحمامصى بالقاهرة ١٩٦٤م .

٣٢ : - **العودة إلى الإيمان** :د هنرى لنك ترجمة ثروت عكاشة ط دار المعارف بمصر ١٩٥٩م .

٣٣ - **الفصل فى الملل والأهواء النحل**:الإمام ابن حزم. ط صبيح بالقاهرة ١٣٤٨هـ .

٣٤ : - **الفهرست** : ابن النديم . ط دار المعرفة بيروت بدون تاريخ

٣٥ - **فى ظلال القرآن** : سيد قطب . ط ٤ دار الشروق بالقاهرة ١٩٧٧م.

٣٦ - **فى الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا**. د محفوظ على عزام ط ١ دار الهداية الإسلامية بالقاهرة ١٩٨٦م .

٣٧ : ـ **فيض القدير : المناوى** . ط الحلبى بمصر بدون تاريخ .

٣٨ : ـ **قصة الحضارة : ول ديورانت** ترجمة . د . زكى نجيب محمود . ط القاهرة ١٩٦٠م

٣٩ : ـ **قضية الألوهية بين الفلسفة والدين** : عبد الكريم الخطيب ط ٢ دار المعرفة بيروت ١٩٧٥م .

٤٠ : ـ **الكتاب المقدس** : ط دار الكتاب المقدس بالقاهرة .

٤١ ـ **لسان العرب** : ابن منظور ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.

٤٢ ـ **مبادئ العقيدة بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم**:د سعيد اسماعيل صينى ط ٢ دار المجتمع بالمدينة المنورة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

٤٣ ـ **محاضرات فى النصرانية** : للشيخ محمد أبى زهرة. دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧٢م .

٤٤ : ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل** . ط دار صادر بيروت بدون تاريخ .

٤٥ ـ **معاول الهدم والتدمير** . إبراهيم سليمان الجبهان . ط ٤ الرياض ١٤٠٠هـ ـ ١٩٩٨م

٤٦ : ـ **معجم مقاييس اللغة** : ابن فارس . تحقيق عبد السلام هارون ط دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

٤٧ : ـ **المعجم الفلسفى** : جميل صليبا ط دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٨٤م .

٤٨ : ـ **المعجم الوسيط** : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

٤٩ : ـ **المفردات فى غريب القرآن** : **للراغب الأصفهانى** ط دار المعرفة بيروت بدون تاريخ

٥٠ : ـ **الملل والنحل** : الشهر ستانى ط الحلبى بالقاهرة بدون تاريخ .

٥١ : ـ **مناهج الفلسفة** : ترجمة د . أحمد فؤاد الأهوانى ط القاهرة ١٩٥٦م .

٥٢ : ـ **من التلمود** : مجهول المؤلف والطبعة .

٥٣ : ـ **الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية** :د. فاطمة محجوب ط دار الغد بالقاهرة .

٥٤ : ـ **الوحى المحمدى** : محمد رشيد رضا . ط القاهرة ١٩٥٢م .

٥٥ : ـ **يا أهل الكتاب تعالوا** : د . رؤوف شلبى ط دار التوحيد بالقاهرة ١٩٨٥م .

٥٦ : ـ **اليهودية** : د . أحمد شلبى ط ٥ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٨م .

٥٧ : ـ **يوم الإسلام** :أحمد أمين . ط النهضة المصرية بالقاهرة بدون تاريخ .

تم بحمد الله تعالى

الفهرس

والحمد لله

الذى تتم بنعمته تتم الصالحات .

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٠٢٥٨/٢٠٠٣م

مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا

أمام فرع جامعة الأزهر


Bibliotheca Alexandrina
06590054